بسم الله الرحمن الرحيم

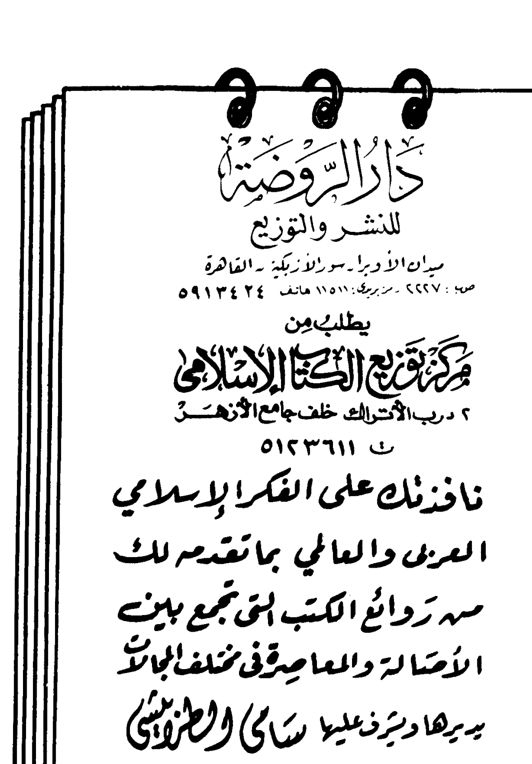
# الصيدلية الفرعونية

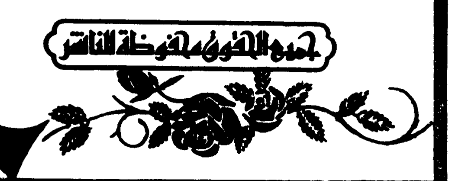
## للعلاج بالطب والأعشاب

دكتور

موسى الخطيب




دار الروضة
للنشر والتوزيع
ميدان الأوبرا - سور الأزبكية - القاهرة
ص.ب: ٢٢٢٧ - رمز بريدي: ١١٥١١ هاتف ٥٩١٣٤٢٤
يطلب من
مركز توزيع الكتاب الإسلامي
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١
نافذتك على الفكر الإسلامي
العربي والعالمي بما تقدم لك
من روائع الكتب التي تجمع بين
الأصالة والمعاصرة في مختلف المجالات
يديرها ويشرف عليها سامي الطرابيشي


جميع الحقوق محفوظة للناشر



بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

**بسم الله نبدأ ، وعلى الله نتوكل ، ومن توكل على الله كفاه**

**وبعد**

يعتقد البعض أن طب الفراعنة لا يعدو أن يكون سوى شيء من الرقى والتعاويذ والتمائم مع بعض المعرفة بطب الأعشاب ، وا عجبا ! ، فقد ظل علماء التاريخ يؤكدون المقولة السابقة على حد زعمهم .

ولقد كان هذا الرأى من السذاجة بمكان ، فكيف كان هؤلاء العلماء يعقلون أن المصريين شيدوا أهراماً تزن عدة ملايين من الأطنان ، على أشكال هندسية متكاملة، ولم يخطئوا فى توجيه بعضها سوى فى خمس دقائق من الزاوية ؟ كيف كانوا يعقلون أن هؤلاء المهندسين يخدعون بمثل تلك الخزعبلات ؟

لقد وقفت منذ أشهر قلائل أنصت فى خشوع إلى عرض الصوت والضوء ، وقد مزق أبو الهول صمت السكون الرهيب الذى التزمه قروناً طويلة ، فوقفت أتساءل عما عسى يرويه شاهد التاريخ الأول عن الطب والأطباء ، إذا ما استجاب يوماً إلى قلق فضولنا ؟ !

ولنفرض جدلاً أن طب الفراعنة لم يقدم شيئاً على طريق الحضارة الإنسانية ... فلن يلبث مثل هذا الجدل العقيم أن يتحطم على طريق الحقيقة المضيئة كالشمس.

فلقد ظل علماء الإغريق المبرزون أمثال : أفلاطون وأبقراط وفيثاغورث وغيرهم يدينون بفضل الأطباء الفراعنة ، فلم يضنوا بسنوات ثمينة من شبابهم يدرسون فيها على كهنة مصر دون أن يصلوا ـ على حد قول مؤرخيهم ـ إلى تمام علمهم وكامل أسرارهم .



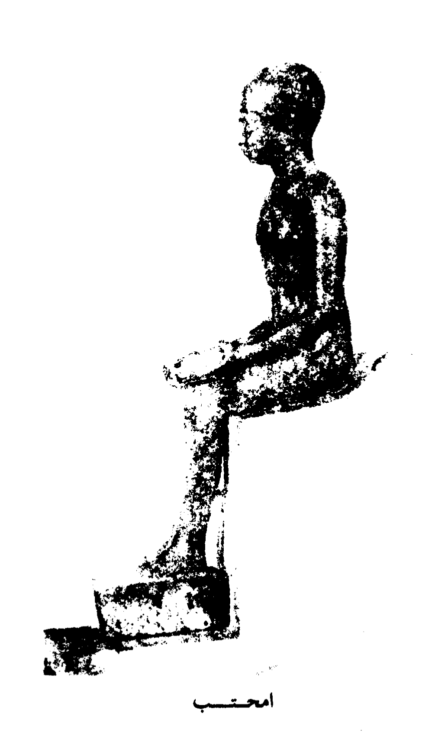
( رسم إمحوتب إله الطب )
عند قدماء المصريين . الأصل
بالمتحف المصرى من البرنز بقاعة
الآلهة المصرية القديمة بالطبقة
العليا بالقاهرة p



( رسم تمثال المعبودة سخت )
إلهة الجراحة ومساعدة الإله فتاح
فى وظيفته وهي ممثلة بشكل إنسان
ورأس لبؤة والأصل بالمتحف
المصرى بالطبقة العليا بالقاهرة p

فهل كان الإغـريق ـ وهم مبتكرو الفلسفة ومـبتدعو المنطق ـ يضيعـون وقتهم فى مثل هذا السفه! إن لم يظفروا بعلوم تشفى غُلتهم ؟

ومـا القول فى «قـورش» امبـراطور الفرس العـظيم وغيـره من الأباطرة الذين لم يسلموا صـحتهم إلا للأطبـاء المصريين؟ . و«دارا» الامبـراطور الفارسى الذى أرسل طبيـبه المصـرى «ادجاحـورسنت» إلى مصـر ليعـيد بناء مـدرسة «سايس» الـتى كان «قمبيز» قد هدمهـا من قبل ، وهناك الطبيب المصرى العظيم «تب آمون» الذى جابت شهـرته الآفاق ، وكـان الكثيـر من الأمراء الأجـانب يفدون إلى مـصر طلباً لـلعلاج والاستـشفـاء على يديه ، وتراه مرسـوماً على جدار مـقبـرته وهو يقدم الدواء لأمـير سورى يتبعه خدم محملين بالهدايا .



امحتب

وعرفاناً بفضل الأطبـاء فى مصر القديمة ، يقول هومـيروس : «إن كل أهل مصر عالمون بفـن العلاج فهم من سـلالة «ميـون» طبيب الآلهـة !» وذاعت شهـرة الأطباء المصريين حتى فى عـهد الإغريق إلى حد أن كاتبـاً إغريقياً اسمه «أنا خـرسيس» كان يعتب على بنى جنسه تفضيلهم للأطبـاء المصريين فى العلاج على زملائهم من أطباء الإغريق .

وهذه رحلة للبحث والتأمل .. لنرى مبلغ ما وصل إليه أجدادنا القدماء فى فن الطب . وما لهم من الفضل والسبق على حضارة بنى الإنسان ، ولنا فى دروس التاريخ عبرة ... فيأخذ شبابنا من ماضى أجدادهم نوراً يستضيئون به على طريق مستقبلهم ... والعبرة الباقية أن ينهض شبابنا بمصر ، وطننا الحبيب على طريق الخير والتقدم والازدهار .

فإذا قدر لنا هذا ، حققنا ؛ تلقائياً ؛ الواجب الذى فرضته علينا طبيعتنا الإنسانية وهو تسليم أمانينا إلى من يحمل الشُعلة من بعدنا فى حال أفضل مما تُركت عليه .

**وبالله التوفيق**

المؤلف

**دكتور / موسى الخطيب**




## البرديات تكشف أسرار الطب عند الفراعنة



## ١- « بردية إدوين سميث » :

لقد ظلت الفكرة البدائية شائعة بين المؤرخين حتى سنة ١٩٣٠م عندما ظهرت ترجمة «بردية إدوين سميث» التى قال عنها مترجمها «برستد» إنها قد أحدثت ضجة بين علماء مصر فى هذا الوقت ، ونحن نقرر أن هذه الضجة لا تقارن بتلك التى أحدثتها بين علماء الآثار المصرية فى عصرنا هذا ، وقد بلغ إعجاب ناشرها بها حداً جعله ينسبها إلى أمحوتب نفسه ، إله الطب ، [شكل ١]

وقد تكون الفرصة سانحة لنقول : إن المعلومات التى تحتويها مستقاة من موسوعات طبية أو من مخطوطات ، أى أنها منقولة عن أصول أقدم ، ترجع إلى أول عهد الأسر ، وإن كنا لا نعرف شيئاً عنها .

ولنذكر من بين الأدلة شاهداً على هذا القدم ، فقد وردت بعض العبارات مثل «هنا وجد تمزيق» أو «هنا لم توجد أية كتابة» ، وهناك تعليقات عن فوائد الوصفات المذكورة ، أو بعض الألفاظ العتيقة التى اقتضت تفسيراً لغوياً ، وهذه العبارات كلها مكتوبة بالخط نفسه فى صلب المتن ، كأن النص والهوامش نسخت دون تمييز .

يرجع تاريخ هذه البردية إلى عام (١٥٥٠ ق . م) ، ويرجح الأستاذ محمد كامل حسين أن يكون مؤلفها من معاصرى بناء الهرم الأكبر ، إذ كانت إصابات الرأس الناجمة عن سقوط من ارتفاع ، والتى تزخر بها تلك البردية ، كثيرة الحدوث فى ذلك الوقت . ووجد أنه لم يكن من الكهنة السحرة الذين ينصرفون عادة إلى تلاوة التعاويذ وإطلاق البخور ، ، ولكنه رأى فيه إنساناً يدفعه ضميره إلى ملازمة المرضى ليالى طويلة يترقب فى أثنائها علامات الشفاء أو النكسة ، ثم يفكر فيما لاحظه ، ولا يقصّر فى تشريح الموتى لمعرفة سر الوفاة ، وبعد ذلك يملى ملاحظاته فى لغة طبيعية بسيطة وليست من كلام المتفقهين .

## * مـاذا تـقول سطـور البرديـة ؟

تصف هذه البردية ثمانية وأربعين مشهداً واقعياً فى جراحة العظام والجراحة العامة ، تبدأ بالرأس وتنزل حتى القطن ، وربما كانت تشمل فى الأصل كل أجزاء الجسم ، إذ أن آخر مشهد فيها ـ وهو يخص العمود الفقرى ـ ينتـهى بعبـارة ناقصة .

ومما يلفت النظر هذا التناسق البديع مع دقة الملاحظة ومراعاة أصول العلم الحديث فيما تعرضه سطور هذه البرقية من آراء علمية وعملية فى فن الطب والعلاج .

فإن كل مشهد يبدأ بالعنوان التالى : « تعليمات فى شأن ..» ثم يجئ الفحص : «إذا تفحصت رجلاً به ..» ، ويتبعه التشخيص : « قل فيمـا يخصه إنـه يشكـو من ... » ثم تذكر النتيجة المتوقعة ؛ وتعبر عن ثلاثة احتمالات : الشفاء المؤكد ، والمشكوك فيه ، والميئوس منه تعبر عنه بالعبارات التالية : «سأعالجه» أو «سأكافحه» أو «مرض لن أعالجه» . وبعد ذلك يأتى العلاج ، وهو ينتهى بالتعليقات والتفسيرات ولاشك أن هذا النظام ، وهذا الترتيب ينبئ عن دلائل تفكير أصيل ، وتأمل دقيق ، وتقاليد طويلة سبقت الكتابة .

ويضـاف إلى تلك الصفات خلو البردية من السحر ، اللهم إلا فى حالة واحدة لا يتوقع لها الشفاء ، وربما كان سبب هذا الخلو أنها تناولت جروحاً ظاهرة الأسباب وأنها لم تتعرض لأمراض لها أسباب خفية يرجع منشؤها إلى الآلهة والأرواح الشريرة على حد زعمهم .

وتتجلى واقعية هذه البردية كذلك فى دقة الملاحظات التى تسردها ، فقد عرف مؤلفها ، ولا شك فى ذلك ؛ أنه كان طبيباً غاية فى التدقيق ، فقد عرف قيمة قرقرة العظام فى التمييز بين الكسر والجزع ، وعرّف الجَـزْع بأنه «إصابة الأربطة دون تغيير فى وضع العظام» .

وعرَف صلة المخ بالحركة الإرادية وتعيين ناحية الشلل بناحية الدماغ المصابة، وأدرك علاقة الصمم بإصابة عظمة الدماغ ، وأكد قيمة حَسّ جروح الرأس ، فشبه كسر الجمجمة بثقب فى إناء من الفخار ، وصرح بسوء مآل الحالات التى لا يشعر فيها بنبض المخ ، وتلك التى يحس فيها العظم منخفضاً داخل المخ، وتلك التى يلاحظ فيها تصلب الرقبة والنزف تحت الملتحمة ومن المنخرين أو من الأذن .. كما وصف كسر العمود الفقرى ، وما يتبعه من شلل رباعى ، وانتصاب ، واستمناء دون فقدان الوعى ، وخص الاستمناء بكسور وسط الرقبة ليس غير . ومما يشير إلى إجراء المؤلف للعمليات التشريحية لتلك الحالات ، أنه شبّه الفقرة المنغرزة فى الفقرة التى تليها بالقدم التى تغوص فى أرض منزرعة .

## * البردية والعلاج :

أما عن العلاج ، فقد وصفت تلك البردية ، رد الكسور والخلع بطرق تنم عن مهارة فائقة فى هذا الفن ، فمن التعليمات التى وردت بها فيما يخص علاج كسر الترقوة : «إلق المريض على ظهره ، ثم ضع بين اللوحين وسادة حتى يبتعد جزء من ترقوته ، ويرجع العظم المكسور إلى موضعه . وبعد ذلك ثبّت وسادة من الكتان على الجانب الأيسر من ذراعه ، وضمده بالأمرو [1] ثم بالعسل فى الأيام التالية» .

ويرى أستاذ العظام الدكتور محمد كامل حسين : «أن الطب الحديث لم يجد أحسن من هذه الطريقة ، وأنها ترقى إلى درجة من الكمال لا داعى عملياً لتحقيقها» .

وفى «البردية» نفسها إرشادات خاصة بخلع الفك الأسفل تقول : «إذا تفحصت رجلاً عنده خلع فى الفك الأسفل ولا يستطيع إقفاله ، فضع

---

(١) مرهم مجهول التركيب .

إبهاميك على طرفى الفك داخل فمه ، وأصابع يديك تحت ذقنه ، ثم عليك بعد ذلك رده إلى الخلف فيعود إلى مكانه» وقد وصف أبقراط تلك الطريقة بالألفاظ نفسها ، واقتبس الأطباء العرب أمثال ابن سينا هاتين الطريقتين وكأنه عرّبهما تعريباً .

وكان كسر الأنف يُعالج بإدخال لفائف صغيرة من الكتان داخل فتحتيه لحفظ شكله . وفى اللفافة نفسها وصف لمرض قد يكون التيتانوس [1] .

وهذا الوصف خصّ حالة كسر فى الجمجمة تبعه تقلص فى الرقبة وتعوّج فى الفم ، وقال عنها إنه لا سبيل إلى علاجها ، غير أن الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين يرجح أن الحالة هى حالة التهاب سحائى .

إلى هنا نكون قد طالعنا سطور البردية تماماً ، والآن تعال بنا لنرضى قلق فضولنا ، ونطالع معاً سطور برديات طبية أخرى ، فهى تروى لنا عن أجدادنا المصريين سرّ تقدمهم فى هذا الفن .

## ٢- « بردية كاهون » :

عُثر على هذه البردية فى مدينة اللاهون بالفيوم ، وسماها العالم الذى وصفها «بردية كاهون» مخطئاً فى اسم البلدة المصرية التى تم فيها هذا الكشف القيم .

وهى أقدم بردية طبية بالمعنى الحقيقى ، كما أن الأصل الذى استنسخت منه أقدم من أصول البرديات الأخرى .. وهى تصف سبعة عشر تشخيصاً فى أمراض النساء وقدراً مماثلاً من حالات الولادة وبعض طرق التكهن بالإخصاب فى النساء أو جنس الجنين . والغريب أن مؤلفها قد جمع فيها بين طب النساء والطب البيطرى ولا أدرى مغزى هذا !

---

(١) هذا المرض نسب أو ذكر له ابقراط أيضاً .

## ٣- « بـرديـة إبـرز » :

يرجع تاريخ هذه البردية إلى عهد «بردية إدوين سميث» وهى المرجع الأساسى لمعرفتنا للطب الباطنى . وقد وصلتنا كاملة دون نقص أو تشويه .

وهى تحوى مجموعة صُـنفت من مـؤلفات وصلت صفحاتها إلى الكتب متناثرة ، فاستنسخها حسب ترتيب وصولها فأدى هذا الخلط إلى بلبلة أجهدت الإخصائيين عندما حاولوا تفسيرها .

تذكرة طبية لنص مصرى قديم مكتوب بالخط الهراطيقى على ورقة إبرس الطبية ويقرأ من اليمين الى اليسار . و إليك قراءته وترجمته بالعربية

(١) اللفظ بالعربية

(١) ك ـ ت ن ـ ت در كا كاو ـ ت م ع ـ ت نب ـ ت ن ـ ت س عد عش سف ـ ت خساى ـ ت حر نس ش حرتى وبد مو ز سنا ماو م خت وع ـ ت جس ام

(ب) ك ـ ت حا ـ ت مح ـ ت حسا حسمن دشر مرح ـ ت جس ام عش ـ و ( عش ـ و) سب تى

(٢) الترجمة بالعربية

(١) (علاج) آخر لدرء كا كاو (ربما كان داء السرطان) من أى عضو انسان دهن الارز (ا) . خشخاش (٠) (ا) لسان البركة (ا) . صداء الرصاص (٠) (ا) اوبد (ا)(دواء) يصحن ناعما وماء ويمزج معا ويدهن به

(ب) ملح بحرى (ا) . سائل نيلى (ا) . نطرون احمر (ا) . زيت (ا) يدهن به مرارا مرارا

## * ماذا تقول سطور البرقية ؟

«أ» الصلوات والتعاويذ .. تدل على تقوى قدماء المصريين :

ومما يدل على تقوى قدماء المصريين فى نظرتهم إلى المرض أن المؤلف استهل بالدعوة الآتية : «هنا يبدأ كتاب تحضير الأدوية لأجزاء الجسم وأمراضه جميعاً ، ولدت فى هليوبوليس مع كهنة «حت عات» ، وولدت فى سايس مع إلهات الأمومة ، ومنحنى سيد الكون كلمات أستعين بها على طرد الأمراض وإبعاد الآلام الوبيلة ... يا إيزيس خلصينى من جميع المؤثرات الشريرة ، ومن الأمراض الشيطانية ، والملوثات التى رميت بها كما خلصت ابنك حورس» .

أما النظرة الشعبية إلى المرض على أنه من أفعال الأرواح فإننا نراها ، بالإضافة إلى النصوص الطبية ، فى خطاب طريف وجهه مريض إلى زوجته المتوفاة ، يلومها فيه على مرضه ، فيذكّرها بما كانت حظيت به عنده وهى فى كنفه من الرعاية والعناية ، وبأن تلك العناية لم تتأثر بازدياد ثروته واتساع سلطانه ، كما أنه يشير إلى ما أقامه لها من المآتم الفخمة اللائقة بها . غير أن الصلوات والتعاويذ فى «بردية إبرز» لا تتجاوز الاثنى عشر من بين ٨٧٧ فقرة .

## * ماذا تقول بقية سطور البرقية ؟

يمكن بسهولة تقسيم الباقى إلى موسوعة شاملة لأمراض البطن والجلد والعينين والنساء والأطراف ، والجروح والحروق ، ثم إلى كتابين فى القلب والأوعية يعدان أقدم مؤلفين يتناولان الحياة والمرض ووظائف الأعضاء بطريقة واقعية خالية من التأملات الفلسفية أو الروحانية أو أساطير الآلهة ، وهو يختتم بباب مطول عن الأورام .

وقد وردت فى تلك البرقية فقرات جديرة بالإعجاب . فإليك وصفاً ينطبق تماماً على الذبحة الصدرية أو انسداد الشريان التاجى يقول : «إذا تفحصت مريضاً بالمعدة يشكو من آلام فى ذراعه وصدره وناحية من معدته .. قل بصدده: الموت يهدده» .

ثم إنها تضم مجموعة من أوصاف الأورام ومن السمات الاكلينيكية التى تميز أنواعها المختلفة ، من أورام دهنية وفتق ، وتمدد شريانى ، وأكياس وخراريج وهى جديرة بدراسة مستقلة ، فقد أوصت البردية بجسها ، فإذا كانت متموجة أوجب حسبانها سائلة أو دهنية ، وإذا كانت نابضة فهى أورام أوعية لا تعالج بالمشرط ، وإذا كانت تظهر فى جدار البطن فوق العانة بعد السعال أمكن إرجاعها إلى البطن (فتق) ، ومنها ما هى - على قول البردية - أبشع وهى التى تظهر البثرات وترتسم الرسوم على سطحها ، وتحدث آلاماً شديدة فيقال عنها إنها أورام الإله «خونسو» ولا يفعل لها شىء أى أنها لا تشفى ، وهذا الوصف قد ينطبق على الجمرة أو السرطان ، ومنها أيضاً الخارجة عن إمكانات العلاج ومن المحتمل أنها تصف الجذام .

## ٤- « بـرديـة بـرلـين » :

وهى تحوى تعاويذ لتسهيل الولادة ومعرفة نوع المولود ، ووقاية الأطفال وقت الولادة وغسل المولود وقطع سرته وتطييب ملابسه بما يستطاع . وهناك برديات طبية أخرى ولكنها أقل أهمية .

وتجدر الإشارة - كما سبق أن قررنا - أن معظم طب ابقراط ؛ الذى يعتبرونه أبا الطب وجالينوس و ديسقوريدس ، وهم أشهر أطباء اليونان قد أخذوه عن الطب المصرى القديم .

## * الطب المصرى القديم فى الميزان :

**١ـ الجـراحات :**

إذا أردت أن تعرف الجراحات التى كان المصريون يجرونها فما عليك إلا أن تذهب لمشاهدة بعض مقابر الأسرة السادسة بسقارة ، فسوف ترى نقوشاً تمثل الفتق السُّرّى ، والقيلة المائية أو الفتق الإربى ، وورماً أو تضخماً بالثدى ، وتمثل هذه المجموعة أيضاً تليف الكبد البلهارسى ومضاعفاته .

**٢ـ هل عرف الفراعنة التخدير ؟**

والإجابة هى : أنهم عرفوا خواص نباتات مخدرة كثيرة مثل: الأفيون والسكران واللقاح ، ولعلهم استعملوها لتخدير المرضى قبل إجراء الجراحات ، وإن لم يُذكر شىء من هذا فى النصوص المعروفة .

أما عن ذكر التخدير فإنه يقتصر على نبذة وردت فى وصف الرحالة «سترابو» عند زيارته لمصر ، والتى قال فيها : «إن المصريين يخلطون حجر منف بالخل ويضعونه على سطح الجلد ليخدره» . وقد فسّر البعض هذا بأن الحجر يتفاعل مع الخل فيتصاعد منهما غاز ثانى أكسيد الكربون وهو غاز مخدر ، ويعلق الأستاذ الدكتور «بول غليونجى» على هذا بقوله : «إننى أجريت هذه التجربة مستعملاً الرخام والطباشير ولم ألاحظ أى تخدير!» .

**٣ـ الختـان :**

هناك عبارة وردت قبالة نقش الختان بسقارة تقول : «إن هذا ليجعله مقبولاً ولعلها تعنى وضع مرهم مخدر على العضو قبل الجراحة .

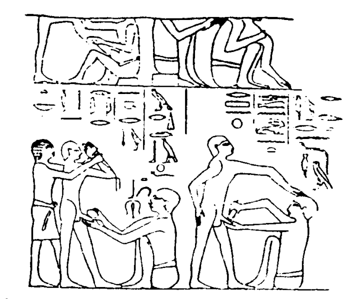
وقد مارس المصريون القدماء عملية الختان منذ بدء التاريخ ، وأخذ اليهود هذه السُّنة عنهم ، وكانت تلك العملية تُجرى بين السادسة والثانية عشرة ،

ويُرجح أنها لم تُفرض إلا على الكهنة وأعضاء الأسرة المالكة ، ويلاحظ أن هذه العملية قد نُقشت على مرتين : إحداهما في الكرنك ، والأخرى في سقارة .

وفي سقارة ينقسم النقش إلى قسمين : حيث تلاحظ في الجزء الأول العبارة السابقة التي تشير إلى التخدير ، كما تلاحظ تسمية الخـتّان بالكاهن المختّن ، الأمر الذى ينبئ عن طابع العملية الدينى ، وقد يُفسّر عدم ورود أى نص فى شأن الختان فى البرديات الطبية ؛ اللهم إلا نبذة يسيرة وردت فى «بردية إيبرز» ترجمها «إيبل» علاج لفلفة نزفت ، فأرجعها إلى عملية الختان ، وإن كان «جرابو» قد ترجمها على وجه مختلف : (شوكة سنط أحدثت نزيفاً) .

وإنما ذُكر هذا الاختلاف لبيان الصعوبات التى يقابلها من يخوض فى بحر الطب العتيق .

ويروى «سترابو» أن هذه العملية كانت تُجرى أيضاً للبنات ، ولكننا نرى ضرورة التحفظ فى قبول تصريحات هذا المؤرخ ، إذ أنه ذكر فى الرواية نفسها : أن اليهود اقتبسوا عادتى الختان للذكور ، والخفض للإناث من المصريين ، والمعروف عن اليهود أنهم لم يخفّضوا بناتهم البتة .



ترى فى الجزء الاسفل من هذا الرسم طبيبين يجريان عملية الختان لشابين
وهذا الرسم مأخوذ من القبر الشهير بقبر الأطباء بسقاره

وإذا كان تفسير نقش الختان لا يحتمل الشك ، فإن المقبرة نفسها تحوى نقشين آخرين يتركان للمشاهد مجالاً للخيال ، يبين أحدهما أشخاصاً يعنون بقدمى شخص آخر ويديه ، بينما هو ممسك ذراعه بيد منقبضة . وقد رأى البعض فى هذا الرسم مثالاً للتدليك وتقليم الأظافر ، فى حين رآه البعض الآخر مثالاً للتحريك أو إجراء عمليات جراحية . هذا عن النقش الأول فى عملية الختان .

أما النقش الثانى: فإنه يمثل سيدات يخرجن من باب ويتوجهن إلى مكان ؛ لا يمكن بيانه ؛ لإزالة حجر يحمل بقية النقش ؛ تقول نصوصه : «وقد أُغشى على بعض هؤلاء السيدات وخفَّ البعض إلى مساعدتهن على القيام من الأرض» .

ومما يلفت النظر استدارة بطن إحداهن وامتلاؤه ، وهو أمر دعا إلى القول بأن صاحب المقبرة كان طبيباً ، وأن هذه القاعة بما حوته من النقوش التى تمثل عملية الختان ، وبعض العمليات الأخرى على الأطراف ، وسيدات حوامل ، ربما كانت عيادة الطبيب . هذا مع التسليم بأن ألقاب صاحب المقبرة لا تشير إلى أى عمل طبى ، وأن المختن لُقِّب بالكاهن وليس بالطبيب ، فى حين نرى فى قاعة أخرى طبيباً من أتباعه اسمه «عنخ» يحمل لقب الطبيب «سونو» .

## * هل عرف الفراعنة شيئاً عن طب الحنجرة ؟

هناك نقوش ترجع إلى الأسرتين الأولى والثانية ، وهى متصلة بأعياد اليوبيل الملكى المسحى «حب ـ سد» حيث كان الغرض من طقوسها إعادة قوى الحياة إلى الفرعون الكهل وبالتالى إلى الدولة بأجمعها . ويمثل بعض هذه النقوش شخصاً جالساً يصوب نحو رقبة شخص آخر آلة حادة مستطيلة .

أما هذا الشخص الآخر فهو ساجد مُنحن إلى الوراء وذراعاه مربوطتان إلى الخلف . وقد ذهب «بترى» وغيره إلى أنها تمثل ذبح الأسرى أو القرابين البشرية فى أثناء هذه الحفلات . إلا أن «فيكانتيف» قال عنها : «بما أنها متصلة بمراسيم (الحب ـ سد) فهى تشبّه الشعب بمريض مختنق ، وتُشبه طقوس اليوبيل بعملية إعادة التنفس بفتح القصبة الهوائية ، ولذلك فقد اعتبرت تلك النقوش كتابة تصويرية يمكن قراءتها على الوجه الآتى : « يتقبل شمال البلاد وجنوبها هواء الروح » ، ومن ثم فقد اتخذ «فيكانتيف» من ترجمة تلك النقوش برهاناً على معرفة المصريين لهذه العملية السالفة الذكر وفوائدها .

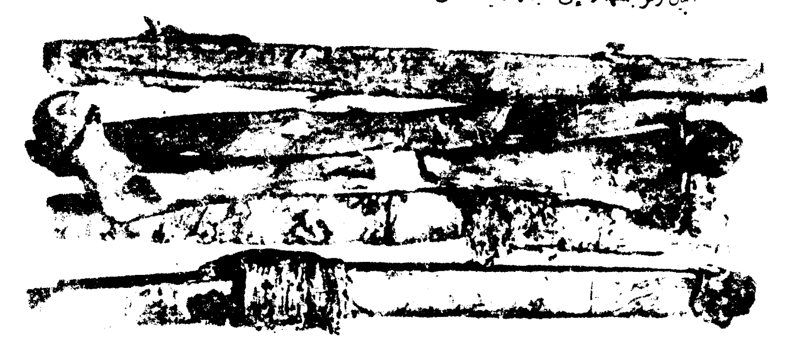
## * التربنة ؛ جراحة قديمة :

أما التربنة ، وهى عملية مارستها شعوب قديمة كثيرة لأغراض هى إلى السحر أقرب منها إلى الطب ، فإنها لم تُذكر فى النصوص ، شأنها فى هذا شأن الختان ، إلا أن متاحف عدة تحوى جماجم بها ثقوب مستديرة ، تدل حوافها الملساء على حدوث تغييرات حيوية قبل الوفاة ، ويرجح أنها نتيجة عملية التربنة، وقد وُجدت ـ بالإضافة إلى ذلك ـ عظام مبتورة وملتئمة ، الأمر الذى يدل على إجراء العملية والمريض على قيد الحياة ، ثم على شفائه من هذه الجراحة .





رسم أطباء مصريين يجرون عمليات جراحية فى أيدى وأرجل بعض المرضى ·
هذا الرسم ماخوذ من قبر الاطباء بسقارة من عهد الملك تتا الثانى أول ملوك الاسرة السادسة اى حوالى ٢٦٠٠ سنة ق ·م· وترجمة النقوش المصريه القديمة المكتوبة على هذا الرسم فى القسم الأعلا من اليسار الى اليمين « أمسكه ولا تدعه أن يكون ···· » والقسم الأسفل الى اليسار يقرأ من اليمين الى اليسار وترجمته « أعمل هذا واجعله ان ينتهى » والجملة الواقعة فى الوسط تقرأ من اليسار الى اليمين وترجمتها « انى سأعمل لك حسب رغبتك يا أمير » والجملة الاخيرة الواقعة الى اليمين تقرأ من اليسار الى اليمين وترجمتها « إنى أجعله لديذا لذاتى »



## * الجراحـة العامة :

وكانت الخراريج تُفتح بالمشارط ، والأكياس تفتح بمشارط معينة ، ثم تفرغ محتوياتها بمشارط من نوع آخر ، وأخيراً يزال غلافها إزالة تامة لاجتناب تولدها من جديد ، ويتم ذلك بآلات من نوع ثالث ، ولنا أن نتعجب من هذه الخبرة الفائقة التى أملت عليهم كل هذا السبق فى هذا الفن .

## * طـب العظـــام :

أما الكسور والخلوع ، فقد رأينا كيف كان مؤلف «بردية أدوين سميث» يوصى بردِّها بطرائق لا تقل فاعلية عن أفضل وسائلنا فى العلاج اليوم ، وكانوا يضعون الأطراف بعد ردها فى جبائر ، وتم الكشف عن بعضها فوُجد أن تاريخه يرجع إلى عهد ما قبل الأسر أى قبل سنة (٣٥٠٠ ق . م) ، وكانت تتكون ، عادةً ، من قطع من الخشب أو القشرة تتصل كل منها بالأخرى بواسطة أربطة، وتبطن بالكتـان ، وتوضع حول العضو المكسور كالأسطوانة .

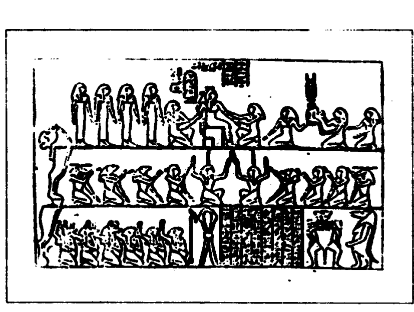
## * طب العـيـون :

اشتهر قدماء المصريين بالبراعة فى علاج الرمد ، وألجأهم إلى ذلك انتشار أمراض العيون فى وادى النيل ، وكان «قورش» ملك الفرس قد انتدب طبيباً خاصاً من مصر استوفده إليه لعلاج عينيه ، فتم له الشفاء على يديه .

ومن جملة النصوص الطبية المدونة فى بردية «ابرس» ترى إحصاء لأمراض العيون وعلاجها ، ومن أنواعها التهاب الملتحمة المسبب للغشاوة والتهاب القزحية المسبب لسيلان الدموع ، ومرض الذبابة الطائرة ، والتهاب الجفون ، والنقطة القرنية ، والشطرة الجارحة ، والورم الصغير فى الجفون والعمى ، وكانوا يسرعون فى استئصال شعرة الرمش من العين قبل تأثيرها الضار على العين ،

كما كانوا يعالجون أمراض الجفون الداخلة ببراعة مدهشة ، ولم يمنعهم فى معالجة العيون من الأمراض البسيطة استعمال الكحل والمراهم متى كانت من المواد المعدنية النقية أو النباتية ومطابقة فى تركيبها للطرق العلمية . فضلاً عما كانت تتخذه نساؤهم من وسائل العناية لتوقى أمراض العيون بكل احتياط ، وقد اهتموا بالوسائل الصناعية كالحور وتزجيج الحواجب وتخضير العيون بنوعين من الدهان أحدهما أخضر والثانى أسود ، وهذا الدهان الأسود كان يستعمل للزينة والعلاج من العوارض الرمدية الاعتيادية فى أدائها .

ويوجد فى متحف ليدن صندوق يحوى أنواعاً من التبهرج والزينة للسيدات المصريات وبه أربعة عيون مكتوب عليها النقوش الآتية باللغة المصرية القديمة :



١ـ الدهان اليومى للأعين.

٢ـ الدهان المخصص لزينة الأعين.

٣ـ الدهان الجالب للمدامع .

٤ـ الدهان ؛ لاستجلاب الحيض فى غير أوانه .



## * طـب الصناعات :

وهناك صورة فى مقبرة المهندس المعمارى «ايبوى» ، تمثل شخصاً يرد كتف أحد العمال المخلوعة [شكل ٢ـ٥] وغيره يتألم من عرق سقط على قدمه، وثالثاً ينتزع شظية من عين زميله ، وكأن هذه الصورة الجامعة تمثل منظراً لطب الصناعات .

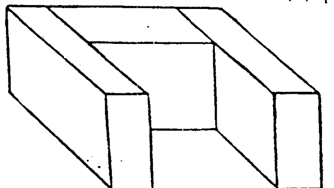
## * طب النساء والولادة :

يوجد على جدار بمعبد (كوم امبو) بأسوان ، نقش يمثل آلات مختلفة قيل إنها جراحية ، كما قيل عن سيدتين مرسومتين بجوارها أنهما سيدتان حاملتان جالستان على كرسى الولادة ، إلا أن المتأمل لهذا النقش يتبين أن تلك الآلات من الضخامة والغلظ بما لا يتفق واستعمالها الطبى ، وأن من بينها ميزاناً مع أن المعروف عن المصريين القدماء أنهم لم يألفوا تقدير العقاقير بالوزن ، بل كانوا يقيسونهـا بالحجـم ، ويوجد من بينها مبخرة وإناء يحتوى بخوراً متصاعداً ، وعين الإله (حور) ذات المعانى السحرية ، إلى غير هذا من الأشياء التى ليست لها معان طبية ، ولذا فإن الأرجح أن هذا النقش يمثل الآلات التى استعُملت فى بناء المعبد وتدشينه ، والتى قدمها الامبراطور تراجان (بانى المعبد) ، إلى الإله على صورة هدية التأسيس ، وكان هذا تقليداً معروفاً .

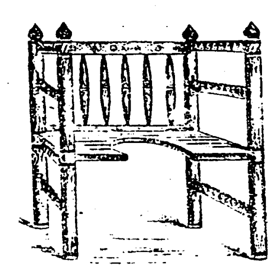
أما السيدتان فإنهما إلهتان ، كما يبدو من الرموز المنقوشة فوق رأسيهما ، وحسبما صورت الآلهة فى بقية المعبد . أما كرسى الولادة المزعوم فهو يمثل المائدة المألوفة فى هذه الرسوم .




هذه الرسوم الثلاثة اشارات هيروغليفية تعنى فكرة الولادة . فالرسم المرقوم برقم (A) يرجع عهده الى الأسرة السادسة المصرية والمرقوم برقم (B) الى الاسرة ١٢ والمرقوم برقم (C) الى الاسرة ١٨



رسم مقعد للوالدة من الحجر يرجع عهده الى الأسرة ٦ (اى منذ ٢٥٠٠ سنة ق . م)



مقعد للوالدة المستعمل الآن فى الديار المصرية وبلاد الشرق وهو مصنوع على مثال كرسي الوالدة عند قدماء المصريين السابق ذكره

## * الآلات الجراحيـة :

ومن الآلات التى قيل عنها إنها جراحية ؛ مقص مزعوم موجود منه أمثلة فى كل المتاحف ، وربما كان غير هذا ، فإن نصفى تلك الآلة يتقابلان فى وسطهما دون أن يتقاطعا ، فإن ضُمَّ طرفاهما من ناحية تباعد الطرفان الآخران، بعكس المقصات ، ثم إن بأحد الطرفين تجويفاً يستقبل الطرف الآخر الشبيه بالإبرة ، الأمران اللذان يرجحان أن تلك الآلة كانت تستعمل لتجعيد الشعر على الطراز الذى كانوا مولعين به .

## * جراحة الأسـنان :

وفى عالم جراحة الأسنان أوصت بردية «إيرز» بحشو الأسنان المسوسة ، وقد كشف «بونكر» فى مقبرة بالجيزة ، عن سن قلقة مثبتة بسلك من الذهب ، كما وصف (هارس) ، وزكى إسكندر سناً أخرى مثبتة بسلك من الفضة .





## * الرضاع والفطام :

وجدت ضمن الأوراق الطبية الأثرية أبحاث كثيرة عن ذلك ومن بينها العناية بأمراض الثديين واستدرار لبنهما الذى هو المادة الأولى فى تربية المولود . ووجد فى كثير من المعابد المكتشفة مناظر الرضاعة والوالدات ، ومنها رسم ايزيس ترضع ابنها حورس ، وهاتور ترضع ابنها فرعون فى صغره . « والأفضل طبياً لصحة الأمهات إرضاعهن الأطفال تخفيفاً للاحتقانات المتسببة عن احتباس اللبن فى الثدى ، ولتكون عاطفة الحنان مقترنة بالرضاعة فتزيد مع نمو التربية وتستديم فى القلوب الرأفة والرقة . ومهما كان حرص السيدات على رونق الزى وزخرفة الثياب فالاعتبارات القلبية أسمى ذوقاً وأرقى أثراً » .

« وكان الطفل يُفطم وعمره ثلاث سنوات بدليل ما جاء فى حكم آنى الفيلسوف المصرى القديم قوله : «إن الله سخر لك أُمّا كابدت كل مشقة حين حملتك وولدتك وأرضعتك ثلاث سنوات وربتك ولم تأنف من فضلاتك ، ولم تسأم معاناة تربيتك ، ولم تكل أمرك لغيرها يوماً ما ، وكانت تبر أساتذتك وتواسيهم كل يوم ليعتنوا بتعليمك . والآن صار لك أولاد فاعتن بهم كما اعتنت بك أمك ، ولا تغضبها لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعاءها عليك» .

*** الطب الباطنى :**

ونتحدث الآن عن العلاج الباطنى ، فنجد أن فلسفة المرض هى التى حتّمت على المصريين القدماء ، أن يعالجوه بمجموعة من الوسائل هدفها التخلص من سبب المرض أولاً .. ومن نتائجه ثانياً . فلقد تصوروا أن المرض عامل خارجى يتسلل إلى الجسم متمثلاً فى : روح غريب ، أو غذاء ، أو سحر ، فإذا دخل الجسم ، سَرَى فى أوعيته وتحول إلى خُرّاج أو ورم أو دود أو عنصر مرضى آخر .

إذن كان يتحتم أولاً التخلّص من الروح أو السحر عن طريق الصلوات والتمائم والماء المسكوب على التماثيل الواقعية ، ومن محتويات الأمعاء عن طريق الملينات والحقن الشرجية وخاصة باستعمال الخروع الذى خصّصوا لفوائده باباً مطولاً فى بردية «إيرز» ، وبعد ذلك كان يتعين إعادة الأشياء إلى ما كانت عليه باستخدام العقاقير ، ويتم استخدام نفس الخطوات السابقة فى العلاج إذا كان سبب المرض روحانياً أيضاً .

## * العلاج بالأعشاب الطبية واستخدام العقاقير :

شملت العقاقير التى استعملها الفراعنة فى طبهم مواد معدنية ونباتية وحيوانية واستخدموا من الأولى الأحجار الكريمة والذهب لتركيب الطلاسم ، والشب والنطرون وأملاح الجير والنحاس ، والأنتيمون والحديد .

ومن النباتات ، كانوا يصفون عدداً يزيد على مائتين وخمسين ، نذكر بعضهم من فوائدها المعروفة : البابونج واليانسون والكمون والنعناع والزعتر وهى طاردة للأرياح ، والعنصل والعرعر مدرين للبول ، والخشخاش والسكران واللفاح مسكنات ، والحنظل والصبر والخروع والتين ملينات ، والشمم للعينين، والجنطيان وحب الهال والشبت تعتبر مواد هاضمة ومشهية ، واستخدموا الزعتر وقشر الرمان لطرد الديدان ، واستخدموا الجعة (البيرة) والنبيذ والزيوت والأصباع كمواد مسوغة لعقاقير فعالة .

ومن المواد الحيوانية ، استخدموا العسل واللبن فى علاجاتهم ، ولقد حظى لبن المرأة التى أنجبت طفلاً ذكراً باهتمامهم الأول فاستعملوه كدواء حتى أنه ليبدو أساساً من أُسس علاجهم . وكانوا يعدونه سائلاً ثميناً ، ولهذا وضعوه فى أوعية مصنوعة على شكل امرأة تحمل على ركبتيها ولداً هزيلاً ، ويظن بعض العلماء أنه الطفل الذى أنجبته إيزيس من زوجها المتوفى أوزيريس .

ومن المواد الحيوانية الأخرى التى استخدموها فى العلاج ؛ نذكر كبد الحوت لشفاء العشى الليلى ، ومما لاشك فيه أن كمية فيتامين «أ» التى يحتويها كبد الحوت قادرة على شفاء هذا المرض .

## * العلاجات الوهمية :

غير أن هناك وصفات كثيرة من تلك التى استعملوها لا تمتّ إلى الطب بصلة ، مثل تدليك جانب الرأس المتألم برأس سمك مقلو ، وذلك لعلاج

الصداع الجانبى ، فقد كانوا يعتقدون أن ذلك ينقل الألم من الرأس المصاب إلى رأس السمكة . وكذلك علاج العمى بوضع سوائل عين الخنزير فى أذن المريض ... إلخ .

ويمكن درج تلك العلاجات ضمن الوصفات الشعبية التى ما زال الشعب يستعملها ، مثل علاج الحصبة بارتداء ثياب حمراء ، أو استخدام مواد صفراء لعلاج اليرقان (الصفراء) لتشابه الألوان بينهما. وكل ذلك يمكن أن يندرج تحت مسمى «العلاجات الوهمية» .

ومن العلاجات الوهمية أيضاً تلك التى تسعى إلى طرد الشياطين بالمواد المنفرة كالغائط ، واجتذاب الأرواح الطيبة بالعطور أو الحلوى ، على أنه يتحتم علينا عدم التسرع فى الحكم على بعض العقاقير المسماة بأسماء غريبة ؛ كسن الحمار ، أو ريشة الإله تحوت ، إذ أننا نجهل حقيقة مدلولها .

إننا اليوم نسمى بعض الأعشاب «كعب العفريت» ، و «فساء الكلاب» .. إلخ ونحن فى القرن العشرين ! فهل نلوم قدماء المصريين على ما خلفوه من مسميات لأعشابهم الطبية ، قد تبدو غريبة فى عالم اليوم ؟!

وقد استعار الإغريق العقاقير التى استخدمها المصريون القدماء حتى أغربها وسنعرض لذلك فيما بعد .

### تعليق على ما ورد فى هذا الفصل :

نخطئ كثيراً إذا ظننا أن الطب المصرى القديم كان ثابتاً أو مطرد التقدم ، فقد نشأت الحضارة فى مصر فى العصر الحجرى ، ووصلت إلى تمام ازدهارها فى عهدها الذهبى ، متراوحة بين التقدم والتقهقر تبعاً للأزمات السياسية التى قابلتها ، ولذا فإن أية محاولة لوضع تلك الحضارة أو طبها فى إطار واحد هو محاولة مصطنعة ومفتعلة ، إذ شتان بين تفكير معاصرى مينا ، ورعايا رمسيس وبين معارفهم وتحقيقاتهم .

ومن الخطأ أيضاً إذا تخيلنا أن طب أى حقبة تاريخية حقق تقدماً عما سبقه أو أن الطب بدأ بالسحر وانتهى إلى العلم ، كما يبدو بداهة . لقد لاحظ «جرابو» ؛ فى شيء من الدهشة ؛ أن البرديات الطبية تزيد واقعيتها كلما زاد قدمها .

وعلى العكس من ذلك فإن الشعوذة تكثر كلما اقتربت البرديات منا ، وهذا معناه أن الأطباء المصريين القدماء وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الطب المحقق قبل عهدنا هذا بثلاثة آلاف سنة أى فى عهد تشييد الأهرام ، وأنهم وقعوا تحت تأثير الخرافات عندما اتصلوا بجيرانهم وتلوثوا بأديانهم .

وفوق هذا ، فإن أى حكم نصدره اليوم يشوبه وجه آخر من النقص لافتقارنا إلى مصادر كافية للبحث . فإننا نعتمد فقط على تسعة مخطوطات هى كل ما وصلنا عن عهد دام أربعين قرناً من الزمان .

وهذه المخطوطات تختلف قيمتها من واقعية مثل «بردية أدوين سميث» إلى تخريف «بردية لندن وليدن» . ومع ذلك فإن أغلب المؤرخين لم يميزوا بينها فأخذوا أوهام البرديات السحرية على أنها النظريات الطبية الرسمية وخلطوا بينها، كأن خلفاءنا يحكمون علينا بقراءة مؤلف استنسخ من نبذة يسيرة من أحدث المؤلفات مخلوطة بأخرى من كتب الرُّقى ووصفات (أولاد البلد) .

ولذا فإن أى حكم مؤقت يُعد قابلاً للاستئناف والنقض ، فهناك ما اندثر من المخطوطات ، وهناك ما لم يتم الكشف عنه إلى اليوم ، وهناك بيوت الحياة التى كان يتردد عليها طلبة العلم وهى المدارس التى دمرها الفاتحون المتعصبون ، وهناك كنوز التعليم السرى فى سراديب المعاهد ... إلخ .

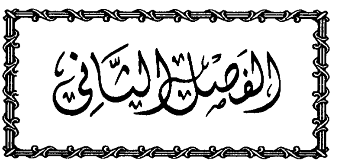
ومن يدرى ، فربما كشف لنا حُسن الطالع ، ذات يوم ؛ عن مدرسة من مدارس بيوت الحياة البرديات المودعة فيها ، فتثير ضجة كالتى أثارتها «بردية إدوين سميث» وحتى إذا سلمنا بأن المصريين القدماء قد نشأوا فى جو من

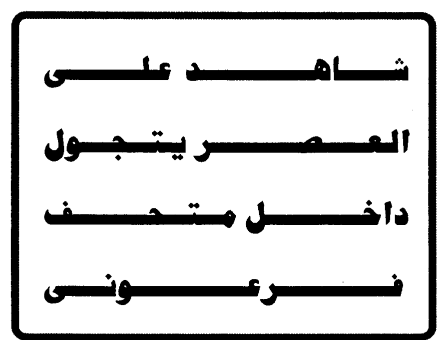
السحر والجهل ، شأنهم فى ذلك شأن كل الشعوب الفتية ، فالذى لا شك فيه أنهم كانوا أول من حاول العبور من السحر إلى العلم ، فهيئوا بذلك الجو الملائم للإغريق ولمن حمل الراية من بعدهم فى الإسكندرية وحوض البحر المتوسط بأكمله .

نعم : لولا حضارة مصر القديمة ما قُدِّر لهؤلاء أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه .

•••••••




الفصل الثاني


شاهد على
العصر يتجول
داخل متحف
فرعوني

## ما هو الهدف من زيارة المتحف الفرعونى ؟

بادئ ذى بدء نود أن نتعرف على شاهد العصر الذى يدعونا لزيارة المتحف الفرعونى ، إنه العالم الطبيب الأستاذ الدكتور / بول غليونجى ولنستمع إليه وهو يحدثنا فى تواضع العلماء فيقول : « أرجو ألا تؤاخذنى على جرأتى إذ أدعو ـ وأنا طبيب ، ولست بالمؤرخ أو الفنان ـ إلى جولة بين تحف تاريخية » ويحدد الهدف من الزيارة التاريخية فيقول : « إن السبيل إلى الحق لا يهتدى إليه إلا بعد التحويم حول الأمور وتمحيصها من كل وجهة . وقد أكدت لنا هذا الأساليب التحليلية ، فقد يتعذر التمييز بين مركبات ، أو التحقق من تحف تبدو ـ لأول وهلة ـ متماثلة ، إذا لم تسلط عليها الأضواء المختلفة الألوان أو الموجات» .

« وإذا انتقلنا من التنقيب عن الحق إلى البحث عن الجمال ـ ونحن بصدد زيارة فنية ـ فإن أزهى الرسوم تبدو باهتة إذا عرضت فى ضوء موحد اللون ، ولا يتجلى إعجازها إلا فى مواجهة مركبات الضوء الأبيض » .

والهدف من الزيارة أيضاً هو التعرف على الأمراض المتفشية فى الماضى ومعرفة الحال الصحية للمصريين القدماء من خلال التماثيل التى تزخر بها المتاحف ، علنا نجد فيها تشوهات أو تغييرات يصح تأويلها طبياً .

على أنه يتعين على المؤرخ ، أو عالم الآثار أو الطبيب أو أى زائر يهمه أن يقوم بمهمة البحث والتنقيب فى هذه التحف ، حتى إذا وجد فيها ما هو مخالف للمألوف ، عندئذ ينبغى عليه أن يفرق بين ما هو ناتج عن علة مرضية حقيقية أو عاهة واقعية ، وبين ما أضافه الفنان من وحيه ، نتيجة لشيوع نمط مفضل أو ميل خاص به ، أو رمز خفى أو نتيجة لأى وازع غير دافع المحاكاة الأمينة للطبيعة .

« إننا نقابل أمثلة من تلك النزعات التى أضفت طبعائها الخاصة على الإنتاج الفنى المعاصر لها فى كل متحف نزوره » .

ثم يوضح الدكتور بول غليونجى السبب الذى جعل المصريين القدماء يضيفون هذه «الفلتات» الكاريكاتورية إلى تماثيلهم ، ويستعرض ذلك بأسلوب ساخر ؛ يقابله سخرية المصريين بأنفسهم بما أضافوه من «مبالغات» على تماثيلهم ، وكأن المصرى محب للنكتة وتغلب عليه روح الدُّعابة منذ بداياته الأولى حتى فى أشد الأزمات !!

يتساءل الدكتور بول غليونجى : «هل كانت نساء عصر «روبنز» كلها تتمتع بالبدانة المفرطة التى نراها على لوحاته؟ هل كانت السيدات فى عصر «كراناخ» تعانى من النحافة وسقوط البطن كما نشاهدهما فى رسومه ؟ هل يتصف اليابانيون جميعاً بالبدانة التى تثقل أبدان ممارس مصارعة (اليوكوزيما) باليابان ؟ ثم لماذا رُسم بوذا بديناً فى الصين ونحيفاً فى الهند ؟

وتأتى الإجابة على لسان الدكتور بول بنفس منطق الأسئلة فيقول : « نجيب أن (روبنز) كان يميل إلى النساء البدينات ، وقد تزوج من سيدة كان حظها من الشحم وفيراً ، وقد رسمها فى أغلب لوحاته ، وأن النساء فى عصر (كراناخ) كن يسعين إلى هذا الشكل الذى نجده فى لوحاته للامتثال إلى طراز مُعين من الهندام، وأن نظرة الصينيين ترمى إلى صفاء النفس وهو أعلى درجات مُثلهم الروحية ، بيد أن النحافة فى الهند ترمز إلى الزهد والتقشف الذى تدعو إليه دياناتهم » .

إن هذه التشوهات لا تزيد على كونها رموزاً تخفى معانى عميقة ، على أن مجرد ملاحظتها والتنبيه إليها من قِبَل شاهدنا على هذا العصر قد يرشد المؤرخ إلى نوع القناع الذى يغطى به الفنان وجه الحقيقة ، وبالتالى يرشده إلى مغزاه ومعناه. إذ أن الحقيقة متعددة الأوجه والأقنعة ، وكل قناع له قيمته . وإذا كان الفن خداعاً ـ كما يرى البعض ـ فإن بعض الأقنعة أصدق أنباء مما يخفيه .

علينا إذن ـ قبل إبداء الرأى ـ فى «تحفة» ما ، وعند اليقين بأن العاهة الظاهرة ما هى إلا تشويه مقصود للتعبير عن فكرة ، علينا أن نبذل جهداً عن سبب اختيار الفنان لهذا النوع من التشويه بالذات . والجواب يتفرع فى دروب عدة .

فمن التحف «المرضية» ما كان يقدم للإله ؛ مماثلاً للعضو المريض ، طلباً لشفائه . وعلى نقيضها ما كان يصنع على شكل عضو سليم ليقدم قرباناً للحمد بعد الشفاء ، وهذا لا يقع فى باب زيارتنا للمتحف الفرعونى ؛ لأن تقديم هذين النوعين من القرابين كان من مميزات الطب اللاهوتى الإغريقى ، ولا نعرف له أمثلة أكيدة فى عصر الفراعنة .

ومع ذلك فإن زيارة أى متحف فرعونى يبرز للعين عدداً كبيراً من التشويهات ، يرجع وجودها إلى مميزات العقائد الدينية الفرعونية . ولعلنا نستطيع وصف أسلوب قدماء المصريين الرمزى بمثلين هما :

١ـ ما كانوا يضفونه على الذهب من قيمة .

٢ـ معنى عين الإله «حورس» فى نظرهم .

والآن هيا بنا نبدأ زيارتنا للمتحف الفرعونى خلف شاهد هذا العصر الأستاذ الدكتور / بول غليونجى :

### * الذهب هو لحم الإله عند الفراعنة :

كان الذهب أثمن ما فى أيديهم ، ولكن قيمته عندهم تختلف كل الاختلاف عن الأسباب التى نقدره لأجلها اليوم ، فلم يكن هذا المعدن قد اكتسب قيمته النقدية الحالية ، ولكن هذه المادة التى لا تعرف الصدأ أو الانحلال ، كانت تعدّ لحم الإله الذى لا يتطرق إليه العفن ، فكثيراً ما كان الفرعون يلقب «بالجبل الذهبى المشرق مثل شمس الأفق على العالم بأجمعه» ،

ومما يعزز هذه النظرة خطبة (سيتى الأول) فى المعدنين ليحدهم من سرقته قائلاً : «أما الذهب ، وهو لحم الإلـه ، فلستم فى حاجة إليه ، فاحذروا كل الحذر من أن تقولوا قول الشمس : «إن جلدى من الذهب الخالص» .

## * العيـن مـرآة الـروح :

فيما يخص العين فقد سماها المصريون القدماء «مرآة الروح» ، وطالما سحرت الإنسان والحيوان على السواء ، فالثعبان يسحر العصفور بنظراته كما يفعل المنوِّم المغناطيسى بنظراته .

ونرى العين وقد رسمت على المعابد البوذية والرموز المسيحية والماسونية والطلاسم والتمائم ، وحتى على ورقة الدولار التى تسحر العالم اليوم . وفى اليابان لا يجرؤ أحد على دخول أية مغامرة ، كالاشتراك فى حلبة الانتخابات دون أن يبدأ برسم عين على تمثال للكاهن البوذى «داروما» على ألا يرسم العين الأخرى إلا بعد إدراك النجاح .

وفى مصر يرسم قائدو سيارات الأجرة (التاكسى) وسيارات النقل العيون على سياراتهم لإبعاد «عين الحسود» ومخاطر الطريق ، وإن كان لنا أن نتساءل : من هو الجدير بالحماية ، وعلى الأخص فى القاهرة ؛ المشاة أم السيارات ...؟!

## * العين .. فى أساطير الفراعنة :

وفى مصر القديمة هناك مجموعة من الأساطير تجمعت حول العين ، ولا سيما حول عين (حورس) ، فنحن نرى «ست» ينتزع «عين حورس» فى أثناء نضالهم الطاحن ، ثم يـهب «آمون» إله الشمس «حورس» عيناً من الصيوان فيرتد إليه البصر ، وقد أصبحت تلك العين واسمها «أودجت» رمزاً للكمال والشفاء .



عين (حور) على منظر سحرى - دينو

ومن ذلك أيضاً نجد أن «نحوت» فى أسطورة أخرى قد جمع أجزاء العين وأعادها عيناً كاملة ، ونسبت لها خاصية الحماية من عوامل الضُّرّ والتدمير .

أما العين فى أسطورة هلاك الكون ـ عين الإله رع الصاخبة ، عندما تجسمت فى الإلهة اللبؤة «سخمت» لتدمير البشر غضباً عليه .

ولذا جمعت العين بين معانى الصحة والكمال من جهة ، والقوة والبطش من جهة أخرى ، فكانت تزين قلادات النساء الثمينة ، وترسم على التوابيت ليس لدرء السوء فحسب ، ولكن لتقوم مقام عينين مفتوحتين على العالم الخارجى . وكانت العين ترسم أيضاً ضمن المناظر السحرية ، وعلى المجاديف والزوارق المقدسة التى كانت تنقل الروح إلى العالم الآخر ، كما ترسم اليوم على زوارق البرتغال ، وصقلية وتايلاند لدرء الشر عنها على حد زعمهم .

وقد قسّموا العين ـ بصفتها رمزاً للكمال ـ إلى ستة أجزاء : الحاجب ، والحدقة، والزاوية البيضاء ، والزاوية الداخلية ، والجفن الأعلى ، والجفن الأسفل، وقد استعمل كل جزء منها منفرداً فى الكتابة الهيروغليفية لكتابة الكسور الحسابية أو أجزاء قياسية كانت تسمى «الحنو» ، على أن مجموع الكسور يكوّن الوحدة الكاملة ، أى رقم ١ ، أو «الحنو» الكامل على التقريب .

**عين حورس هى أصل العلامة التى نضعها فى صدر وصفاتنا الطبية (Rp):**

وقد رأى البعض ، وإن كان حظهم من الخيال وفيراً ؛ أن عين حورس هى أصل علامة Rp التى نضعها دائماً فى صدر وصفاتنا الطبية . وحتى لو استبعدنا هذا الفرض فإن أساس تمسكنا بكتابة هذين الحرفين ليس بعيداً عن عقيدة المصريين القدماء فى قوة الرسوم والحروف ، والتى بلغت بهم حد الخوف من الحروف التى تمثل شخصاً أو حيواناً ضاراً ، فكان السبع فى بعض الكتابات الدينية يقسم من وسطه ، والحشرات والثعابين تبتر رءوسها ، وترسم الرجال بدون جسد ، والتماسيح والحيوانات المفترسة مطعونة بالخناجر .

## الموت فى عقيدة المصرى القديم هو «مقر الخلود» :

فى هذا الجـو الفكرى لم يهـتم الأثرياء بالفن لذاته ، ولو أنهم يتلذذون بالجمال ويقدرونه ، ولكن مصدر اهتمامهم كان دينياً بحتاً ، ذلك أن الموت فى عقيـدة المصرى القـديم لم يكن النهـاية التى لا عـلاج لهـا للحيـاة التى كـان



**( المعبـود أزوريـس )**

رسم المعبود أزوريس زوج المعبودة إزيس إلهة الطب المصرى القديم والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة P رقم ٨٥٥ وهو مرشد الموتى فى الدار الآخرة يمثله جالساً على شكل الأجسام المحنطة

يعيشها على الأرض ، وإنما كان الموت عقبة يتخطاها ، وصفحة يطويها ، قبل أن يستأنف فيما وراء القبر فصلاً جديداً من حياة لا تختلف عن حياته الدنيا .

ومن هنا كان يتحتم على المصرى القديم ـ لكى يعيش فى ظلال الأبدية والخلود - حياته نفسها ويستعيد فيها مشاغله الأولى ، ويستمتع بما كان قد حظى به من ملذات ـ ومن هنا كان يتحتم عليه أن يشيد مقبرته وكان اسمها «مقر الخلود» على غرار بيته أو محل عمله ، وأن يضع فيه كل ما سوف يحتاج إليه من متاع شخصى ومن خدم وأتباع .

على أن ذلك لم يكن فى متناول عامة المصريين ، ولكنه كان مقصوراً على أثرى الأثرياء ، كما أن المصرى فى العهد التاريخى كان ينفر من دفن أفراد الأسرة والأتباع مع صاحب المقبرة ، وتلك كانت من عادات الشعوب القديمة فقد حدا هذا الأمر برجال الدين إلى أن يذللوا هذه العقبة فلجئوا إلى حيلة أكدوا إمكان الاكتفاء بها لبقية أفراد الأسرة والأتباع ، وهى الاستعاضة بالصور المنقولة وبالرسوم على الحوائط ، على أن يصحب ذلك طقوس سحرية تكفل رد ما فيها من شبه إلى الحقيقة ، وتجعلها تنطق أو «تخرج إلى الصوت» كما ورد فى تعبيرهم الجميل .

### حياة الريف والمآدب والحفلات :

الرسوم الجميلة التى تزين المقابر المصرية القديمة وتبرز أبسط التفاصيل فى حياة الشعب اليومية ، حتى أكثرها سذاجة ، وقد أعادت إلينا حياة الريف والمآدب والحفلات فى واقعية ، ولو أن بيوت هؤلاء الأفراد ومجال أعمالهم بقيت دون أن تندثر لما صورت حياتهم بالوضوح الذى تبدو لنا به الآن من آثارهم الماضية .

ولهذه الآثار بالإضافة إلى قيمتها الأثرية ، فائدة تعليمية فائقة لمن يريد من أرباب المهن أو الصناعات أن ينقب فى تاريخ فنه أو مهنته ، على أنه يتعين

علينا التحفظ فى التأويل ، وذلك بسبب الغرض الذى صُنعت من أجله التحفة أو التمثال فهو يختلف ـ بطبيعة الحال ـ تبعاً لوضع صاحب التحفة أو الصورة أو التمثال من المجتمع .

والآن هيا بنا لمشاهدة التماثيل والصور والتحف التى يزدان بها متحفنا الفرعونى ، ولنبدأ أولاً بمشاهدة :

### * تماثيل الفراعنة :

كانت الفراعنة فى أعين الشعب آلهة ، لا يصيبها المرض أو الشيخوخة ، فجاءت تماثيلهم فى غاية الروعة ؛ اتسمت بكمال الجسم ودوام الشباب . كتمثال (خفرع) المودع بمتحف القاهرة (م . ق ١٣٨٠) ، وهو الفرعون الذى يمثل قبره هرماً يزن ملايين الأطنان ، وأعار هيئته إلى روعة أبى الهول فى قوته الهادئة ، أو كصور (سبتاح) وقد ظهر فيها سليماً صحيحاً ، وإن كان من واقع موميائه مصاباً بضمور فى ساقه، يرجّح أنه نجم عن شلل أطفال .

« ولكن الأثريين ـ عندما واجهتهم تماثيل فراعنة تتسم بالعاهات ـ أبوا إلا أن يفسروها تفسيراً رمزياً .

فرفضوا مثلاً رد غلظ قدمى (منتوحتب) إلى مرض الفيل ، وأكدوا أن هذا الغلظ إنما يعبر عن ثبات الأسرة الثانية عشر التى أسسها هذا الفرعون ، وجبروتها » ومثل هذا الجدل ما زال جارياً حول «اخناتون» .

فقد ورث «اخناتون» امبراطورية واسعة وخسرها نتيجة لإيثاره السلم على الحرب. فهو الذى شرع ديناً موحداً وشيد عاصمته فى تل العمارنة ، بعيداً عن طيبة عاصمة الإله «آمون» ، لإيمانه برب واحد «الشمس» ، حتى يكسر شوكة كهنة «آمون» الذين تمكنوا عندئذ من امتلاك أكثر الأراضى المزروعة وأغلب مناجم الذهب وشاركه فى ثورته الفنانون الذين يتسمون بالشاعرية وحب الطبيعة

ولم يتورع الفرعون نفسه عن الظهور بمظهر الأب المحب والزوج الحنون.

« ظهر ذلك الفرعون على تمثالين متجاورين في شكلين مختلفين ، ظهر في الأول مرتدياً لباس الفراعنة (الذكور) التقليدى . أما تماثيله وصوره الأخرى فقد اتسمت بمقاييس هى إلى النساء أقرب منها إلى الرجال فأثار منظره الشك حول جنسه : هل هو ذكر أم أنثى؟ لهذا فقد اعتقد العالم الأثرى (ماربيت) أنه ربما كان قد أُسر في السودان حيث بُترت رجولته . وذهب (لفيبور) إلى أنه كان في الحقيقة امرأة ، وقال آخرون: إنه لتوحيده الدينى ، اعتقد بوجود إله خالق واحد ، فرسم لنفسه هذه الصور للتعبير عن حقيقة هى أنه لكى (يجسد الإله) فهو أب وأم للخلق جميعاً .

وتلك الفكرة وهى ازدواج الجنس (hermaphroditsm) قد حازت قبولاً واسعاً فى عدة أديان وثنية، وتمثلت فى روائع الفن الإغريقى والرومانى والهندى.

«غير أن شاهدنا على العصر يلاحظ أن جميع التماثيل فى عصر (اخناتون) متشابهة من حيث التكوين الجسمانى ، ويرجع ذلك إلى تقاليد القصر التى كانت تحتم على جميع أفراد الحاشية التشبه بالفرعون فى صورهم ؛ وربما كان يرجع ذلك ـ كما قيل ـ إلى طريقة دخيلة فى لف رأس الأطفال ابتدعتها المراضع الآسيويات اللاتى كن تستخدمن فى البلاط الملكى ، أو كما كن يفعلن فى عهد ماقبل الإنكاس بجنوب أمريكا ، وهذا الرأى له ما يسرره فى تمثال رأس (توت عنخ آمون ) الذى يعتلى زهرة اللوتس . ترى ذلك واضحاً فى أحد فصول كتاب الموتى وهو يحمل عنوان : «للتحول إلى زهرة لوتس» .

ولم يكفّ الفنانون عن هذا الأسلوب الفنى فى تماثيلهم حتى بعد عهد (اخناتون) ، فنحن نشاهد آثاره عند خلفائه ، لا سيما تماثيل (توت عنخ آمون) التى تذكرنا فى الحقيقة بتماثيل حميّه بفخذيه الغليظتين ، ولطفه المذهل ، وثدييه البارزين .

## * الفنان المصرى القديم يعبر عن روح عصره :

لقد كان الفنان المصرى ـ كما يتبين من إنتاجه ـ قادراً على تسجيل أتفه الانفعالات فى دقة متناهية حتى عند الحيوانات ، مثل صريخ فرس النهر وهى تنوء بآلام الوضع أو الجراح ، ونهيق الحمار غضباً من العصا ، أو انفعالات البقرة على تابوت (كارويت) وهى تسكب الدمع على ذبح شريك حياتها الثور، أو سلب حليبها وحرمان عجلها الرضيع منه ، أو عندما تداعب صغيرها بلسانها فى لطف وحنان .

ويبدو أن هؤلاء الفنانين لم يكن لهم يد ، من الشعور بالمتعة خاصة عند تمثيل عيوب الأكابر ، للتغلب على شعورهم الخفى بالحسد والغيرة والتواضع تجاه أولئك الأكابر .

كان على الفنان ـ من جهة ـ أن يرسم الجسم على حقيقته لتسمح للروح بالتعرف عليه ليتقمصه من جديد . وكان عليه ـ من جهة أخرى ـ أن يرضى رغبة (زبائنه) فى عيش حياة الخلود فى أجسام تملؤها حيوية الشباب . ولكى يحل الفنان المشكلة عمد إلى نمت صورة المتوفى على الحامل الخارجى ـ من ناحية الدنيا ـ بديناً ثقيلاً كما كان فى حقيقته ونحته مرة ثانية على الحامل الداخلى ، أى من ناحية الآخرة ، شاباً نحيفاً مفتول العضلات ، أى على الشكل الذى كان يبغى أن يواجه ربه عليه .

وقد يلاحظ المشاهد أحياناً « فلتات » روح النكتة من لدن الفنان ، حين يفرد بالبدانة الطاهى أو حارس الباب أو صاحب الزورق ، ويحيطهم بلفيف من العمال نحيفى الأبدان .

فمن التحف التى تستوقف عين الطبيب لبدانتهما وهما تمثالا (حروا) و(أريجادجادن) وذلك لأن المصريين لم يصلوا قط إلى هذه الدرجة من السخرية

فقد روعى فى هذين التمثالين إبراز تشحم الثديين وتهدل البطن ، وترهل لفائف الشحم فى جسديهما ولكننا لا نجد ما يبرر السؤال : «هل كان (حروا) خصيًا؟ وهو ما اتهمه به بعض المؤرخين بسبب أحد ألقابه الذى يدل على مكانته الرئيسية فى الحرم الملكى .

وهناك نحت لمملكة بلاد بونت بالصومال حيَّر العلماء فى تشخيص علة أردافها المفرطة وتلافيف الشحم التى تتدلى من ذراعيها وساقيها دون القدمين أو اليدين فمن قائل إنه المسيكيديما (ضعف الغدة الدرقية) ومن قائل أنه مرض الفيل ، ولاشك أن جسم هذه السيدة أثار استهزاء معاصريها إذ أنه عثر على رسم كاريكاتورى معاصر لها كما أن مرضها يبدو وراثياً ، حيث إن ابنتها جاءت فى رسم آخر وهى تعانى مبادئ الحالة ذاتها .



شيخ البلد - متحف القاهرة

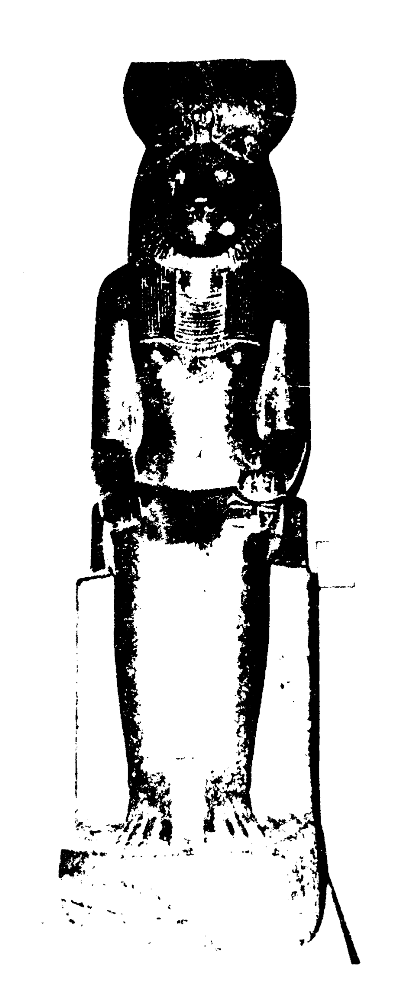
وهناك موضع آخر لم يتحرج الفنانون عن رسم البدانة فيه ، وهو عندما أرادوا التعبير الشكلى عن دور بعض الآلهة الغذائى فى توفير القوت ، نلاحظ

هذا على جدار منحوت ، كان موجوداً بمعبد (ساحورع) وهو معروض الآن بمتحف القاهرة يصور موكباً من الآلهة يقدمون الهدايا والقرابين : نشاهد ثلاثة منهم فى حالة بدانة ، وثديا كل منهم كثديى المراضع . أما الأول : وهو إله النيل (حابى) فهو يمتاز بباقة من الأزهار المائية على رأسه ، والثانى هو (ودج - أور ) إله البحر ذو الجسم المعلم بالخطوط المسكرة وهى رمز الماء ، وأما الثالث فهو إله القمح وتعتليه علامات تمثل حبات هذا النبات .

ونتابع مع شاهد عصرنا حديثه عن روح الفكاهة لدى الفنانين المصريين يقول : «ولو لم يكن لإلهة الولادة طابع دينى لكنت ضممتها إلى هذه الأشكال القريبة من الفكاهة ، فإنها كانت تسمى (تاورت) أى «الكبيرة» ، وكانت تمثل على شكل أنثى فرس البحر (سيد قشدة) وهى فى حالة حمل ظاهر من تضخم بطنها .

**تماثيل طبقة النبلاء والأعيان :**

وكانت طبقة النبلاء أو الأعيان هى التى تطلب إلى الفنان تصويرهم صوراً تطابق الطبيعة كما يفعل أثرياء اليوم ، وتلك هى الطبقة التى سمحت للرسامين بإبراز إبداعهم فى فن التصوير ، وإن كان هؤلاء الرسامون قد نعتوا بالتجمد وعدم الانحراف عن النواميس المصطلحة ـ نجدهم يتقنون نقل ملامح الوجيه الجلف ، أو السيدة المغرقة فى الأناقة ، أو الكاتب الحسود ، أو كبير الموظفين القلق على مستقبله ، أو (أمينسنب) الخبيث ، أو الوجيه المكتئب ، أو وجه (منتومحات المخفور وقد بدت على وجهه تجاعيد المرارة من تحمل أضخم المسئوليات) وبالعكس ، فإن شيخ البلد يبدو لنا صورة مجسمة للصفاء الذى لا يخلو من الدهاء ، وقد بلغ شبهه بشيخ البلدة التى عثر على التمثال فيها ، أن العمال الذين اشتركوا فى التنقيب سموه تلقائياً (شيخ البلد) ، وهو الاسم الذى أطلق عليه فى كل كتب الآثار . ولقد بلغت الأمانة بالفنان المصرى القديم إلى درجة تسجيل الماء الأبيض (الكاتراكتا) الذى كان يغشو نظره .



الإلهـة سخمت اللبـوة



**الإلهة «سخمت» المفترسة التى انقلبت مع الزمن إلهة الطب والأطباء :**

كانت الإلهة سخمت الممثلة بشكل إنسان ورأس (لبوه) ؛ إلهة مفترسة تنشر الطاعون والأوبئة والحروب ، وهى التى كانت تبيد العالم حسب أسطورة (رع) ، وكان الشعب أول الأمر يتضرع إليها لإبعاد تلك المصائب بما فيها الأمراض ثم أخذوا يتوسلون إليها فيما بعد للبرء من تلك المصائب ، فانقلبت مع الزمن إلهة شافية وعدّوها إلهة الطب والأطباء .

**تمثالا الأمير (رع ـ حتب) وزوجته (نفرت) : (٢٣٣ م . ق ) :**

لقد أضاف الفنان المصرى القديم لوناً من الحيوية والبريق اللذين وضعهما فى أعينهما ، فبدوا لعمال التنقيب أحياء بفعل ساحر ، فهرب هؤلاء العمال خوفاً من الشيطان .

## * تكريم الطب والأطباء عند الفراعنة :

ظهر ذلك جلياً عند اكتشاف مقبرة الفرعون (ساحورع) ، فالبرغم من تواضع ما تحتويه المقبرة ، إلا أن وجاهة الباب أثار دهشة المنقبين عن الآثار ، وسرعان ما زالت دهشتهم عند قراءتهم للنص المكتوب عليه وهو : «إن جلالة ساحورع أمر بأن يؤتى من طروادة ـ وهى طرة الحالية ـ ببابين من الحجر ، وأن يقاما فى البيت المسمى «ساحورع بشرق بتاجية» كما أمر بأن يختار لهذا العمل كاهنان من كبار كهنة منف ، وصناع ، على أن ينجز فى حضرة الملك نفسه وأمر جلالته بأن يطلى البابان باللون الأزرق ، وقال لرئيس الأطباء (نى عنخ سخمت) :

« كما أن فتحتى أنفى تتنفسان الصحة .

« وكما أن الآلهة تحبنى .



**( المعبـودة إزيـس )**
رسم تمثال المعبودة إزيس إله الطب المصرى القديم وزوجة
أزوريس كانت تعبد فى مدينة صا الحجر والنساء تزرن
معبدها لتضعن فيه وتشفين من أمراضهن

« فلترحل إلى القبر فى سن متقدمة .

« شأنك فى ذلك شأن رجل جليل .

« إن صاحب الجلالة إن أراد شيئاً فإنما يقول «كن» فيكون ذلك ، لأن الله وهبه معرفة الأشياء التى ينطوى عليها الجسد » .

أما تكريم الطب والأطباء الذى وضعناه عنواناً لهذه الفقرة فإننا نشاهده جلياً في هذه الهدية الفخمة التى منحها الفرعون الجبار (ساحورع) إلى طبيبه المفضل (نى عنخ سخمت) الذى رسمت صورته وفى أعقابها صورة زوجته ، ويبدو التكريم فى صورة أخرى حيث يظهر الطبيب مرتدياً جلد الفهد ـ وهو لباس أرقى طبقات الأمراء والكهنة ـ وممسكاً بالصولجان «سخم» وهو رمز القوة والسلطان ، كما صور مرة ثانية إلى يسار هذا النقش وفوقه اسمه ؛ ونجد تحته نقشاً أصغر لشخص آخر يقل عنه فى الأهمية ، وكُتب عليه ما ترجمته (صانع الأسنان) دون صفة الطبيب ، الأمر الذى يشير إلى وجود فئة من المساعدين الفنيين الملحقين بعيادة طبيب القصر ، إذ أن أعمال طب الأسنان كانت قد بلغت شأواً لا بأس به حتى فى أوائل عهد الفراعنة . يشهد بذلك ربطهم الأسنان بسلك من الذهب لمنع سقوط القلقة منها .

## * الطب البيطرى وأعمال البيطرة :

يظهر أسفل الحجر القائم إلى يمين خلية باب (سابو) الوهمى نقش يصور منظر ذبح يشرف عليه شخص لقبه «الكاهن الطاهر طبيب فرعون»

غير أن البيطرة لم تمارس تخصصاً إذا اعتدنا ألقاب التخصص المعروفة التى لا تشمل أى لقب بيطرى ، وإذا اهتدينا بالنحوت المعروفة حيث لا نرى قط طبيباً يعنى بالحيوانات، بل نرى هذه العناية ومثلها مثل توليد البقر متروكة للفلاحين.



الطبيب الكاهن ايرى - نخنى يشتم
الدم على أصابع القصاب



فلاح يولد بقرة

## معرض صور الأطباء المصريين القدماء بمتحف القاهرة:

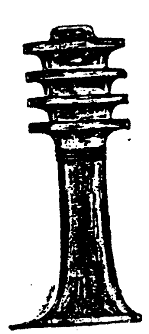
نستطيع أن نقرر أن مكانة الأطباء فى سلم تقييم الفنانين ـ كانت تقع بين أولئك الأعيان وبين الطبقة التالية وهى طبقة العوام . فلم يتركوا لنا صوراً أمينة لأشغالهم ، ولكنهم تركوا لنا كشوفاً مطولة عن ألقابهم ، بينت لنا الكثير عن المهنة وعن تنظيمها ـ تلك المخلفات الجليلة يلقاها الطبيب فى متحف القاهرة أول وهلة ، فهو يجد عند المدخل إلى اليسار باباً وهمياً ضخماً كان يزين المقبرة المتواضعة التى دفن فيها الطبيب (نى ـ عنخ ـ سخمت) الذى يمكن أن يترجم اسمه (الحياة ملك لسخمت) .

ويوجد فى متحف القاهرة جناح يمكن وصفه بأنه معرض لصور الأطباء فهذا أولاً منظر (فى عنخ دواو) طبيب العيون ، واسمه يذكرنا بأن أطباء العيون كانوا من كهنة الإله (دواو) الذى تمركزت عبادته بمدينة ليتوبولس (بالقرب من الجبل الأحمر) .



رسم تمثال نصفي لطبيب مصرى قديم من الحجر الجيرى من الدولة القديمة أى يرجع تاريخه إلى ٥٠٠٠ سنة وهو محفوظ اليوم بمتحف اللوفر بفرنسا

وعلى بُعـد من ذلك المنظر نجـد ثلاث لوحـات من الخشب تخلد ذكـرى (حـزى رع) وهو أقـدم رجل فى العـالم قـام البرهان على تسـميتـه بلقب الطبيب ، ولقـد دونت ألقـابه وهى «رئيس الأطبـاء ورئيس أطبـاء الأسنان وكـاتب الملك» والصـفـتان الأخيـرتان تدل عليـهـمـا سن الفيل وأدوات الكتابة الواردة بين الرموز الهيروغليفية على اللوحة .



عـلامـة البقاء والخلـود

وقبالة هذه اللوحات نحت كبير خاص (بكا ـ وج) مـفـتش الكتبـة والأطـبـاء [شكل ٣ـ٢٠] وهـو يشارك زوجته المائدة الجنزية ، حيث نرى بوضوح رمزين هيروغليفيين يمثلان مشرطاً ووعاء ، وهما مقطعان أبجديان يقرآن (سونو) أى طبيب باللغة الفرعونية ومن محاسن الصدف أن هذين الرمزين يحتملان تفسيراً آخر مؤداه أن المشرط يشير إلى الجراحة وأن الوعاء يشير إلى العقاقير .

وها نحن الآن أمام (نى عنخ ـ رع) الذى «حياته ملك لرع» مفتش أطباء القصر ومن أتباع الإلهة العقرب (سلقت) ، وكاهن (حاكى) إله السحر ، وهذا الطبيب الساحر المعاصر للعهد الذى شُيد فيه هرما خوفو وخفرع ، ودُفن على مقربة منهما ، ربما كان طبيب أحد هذين الملكين .

أما آخر طبيب فى هذا الممر فهو (عنتى إم حات) ، كبير الأطباء ، وسلطان العقارب ، ومع ذلك فإن شاهد قبره يختلف اختلافاً تاماً فى تواضعه عن آثار من سبق ذكـرهم من الأطبـاء ، إذ يبـدو أن حـالتـه الماليـة لم تسـمح له إلا بنصف الحجـر الأيسر ، فخصص النصف الآخر لكاهن طقسى .

أما ضم الألقـاب الخاصة بالعقارب إلى ألقاب الأطباء فهو ينمُّ عن ارتبـاط بعالم السحر ، إذ أن علاج لسعة الثعبان أو لدغة العقرب ـ على نقيض عضة

الحيوانات الاعتيادية ، وعض الإنسان التى تناولتها القراطيس الطبية ـ لم تعالج إلا فى المؤلفات السحرية . كأنها خارجة عن سلطان الطبيب العلمانى .

وكان المصرى القديم يتضرع فى علاجها بالإلهة الثعبان (مرت سجر) ، إلهة جبل طيبة الغربى الزاخر بالزواحف والتى كانت تعاقب من يخطئ فى حقها بلدغة من إحداها ، فكانت الوحيدة التى لها القدرة على رفع هذا العقاب .

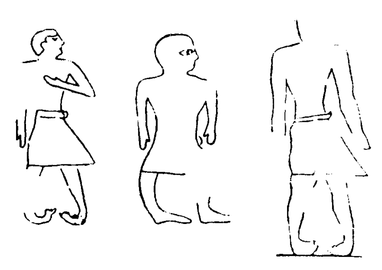
## * جبانة الطب المصرى القديم فى سقارة :

تتميز جبانة سقارة بكثرة الصور الطبية التى تمثل تشخيصاً للعديد من الأمراض فهناك الكثير من الصور التى تمثل الفتق السرى والإربى مما لا نجد له مثيلاً فى أية جبانة أخرى ، وقد يكون لهذه الصور معنى آخر ، فإن إحدى المقابر التى تعرض حالات الفتق تعرض إلى جانبها أو فى الصور ذاتها عدة تشوهات أخرى كالاستسقاء ، وتضخم الصفن والأعضاء التناسلية ، وتورم ثديى الرجال ، وبما أن تليف الكبد البلهارسى يحدث كل هذه العاهات ، وأن منطقة منف التى كانت سقارة جبانتها ، منطقة مصابة بالبلهارسيا ، وأن الإصابة بالبلهارسيا وعلى وجه التحديد إصابة الكبد بها أمر مؤكد فى مصر القديمة ، فإنه من المحتمل أن الفنان المصرى رسم ـ دون أن يدرك معنى لوحاته ـ مجموعة تمثل مختلف أعراض بلهارسيا الكبد .

## * التماثيل الفرعونية وتشخيص الأمراض :

**١ـ تمثال أحدب وتشخيص مرض (pott) بوت :**

هناك تمثال أحدب وتدل حدة الزاوية التى يرسمها حدبه الخلفى بالإضافة إلى الحدب الذى يقابله من الأمام على تشخيص مرض «بوت» نسبة إلى مكتشفه الطبيب الإنجليزى ، وهذا المرض يسببه تدرن العمود الفقرى .



رسوم موجودة فى مقابر بنى حسن يرجع تاريخها الى ٢٣٠٠ سنة تمثل ثلاث اشخاص مصابين بالكسح .



رسم شاهد قبر الكاهن المدعو روما ( الاسرة ١٨ ) والاصل بمتحف كوبنهاج ( الدانمرك ) تشاهد فيه صور هذا الكاهن وزوجته خلفه وابنهما بحجم صغير . ويفهم من هذا الرسم أن الكاهن كان اعرج ومنه يستدل ايضا على انه كان مصابا بشلل الاطفال



رسم جثة كاهن للمعبود آمون (الاسرة ٢١ اى منذ ١١٠٠ سنة ق . م ) مصابة بداء احدى عظيمات العمود الفقرى وعرف هذا الداء بمرض بوت ( Pott ) نسبة الى مكتشفه طبيب انكليزى

**٢ـ القزم (خنوم حتب) وتشخيص مرض Achondroplasia (الأكوندروبلازيا) :**

ومنها تمثال لقزم كان اسمه (خنوم حتب) وكانت وظيفته حارس ثياب الملك وهو يبدو مصاباً بمرض Achondroplasia رأسه كبير رباعى الشكل وغير متناسب مع جسمه ، وذراعاه قصيرتان مفتولتا العضلات ، وجذعه طبيعى ؛ وأولئك الأقزام يتميزون بقوتهم ونشاطهم وبذكائهم الشديد ، الأمر الذى جعل اقتناءهم مرغوباً فيه عند قدماء المصريين الذين استخدموهم للتسلية وحراسة



قزمة اكوندروبلازيه من كنز توت ـ عنخ ـ آمون



فتـاح إلـه مدينة منفـيس



رسم القزم خنوم حتبو يدل على صاحبه



ملكة بلادبونت وقد اعتراها مرض غير ملامحها وشكلها تمام التغيير



كنوزهم أو ثيابهم أو قرودهم الأليفة ولصياغة الحلى كما يشاهد على قبر «يروكا» والسر فى ذلك كما علله بعض الساخرين ـ هو أنه يسهل التعرف عليهم إذا سولت لهم أنفسهم سرقة ما عهد إليهم به .

**٣ـ الأقزام لهم نصيب آخر فى تماثيل الفراعنة :**

ومن أمثال هؤلاء الأقزام (سنب) رئيس حراس كنوز فرعون الأقزام والساهر على ثيابه .

وقد وصل إلينا منه تمثال لطيف يضم أسرته كاملة ، ومنهم أيضاً (تاحو) وتعرفه بتابوته المصنوع من الجرانيت الأسود الذى حفرت صورته على غطائه ، وكان هذا القزم ممن يرقصون فى الحفلات الدينية ، وقد عرف فى حياته بالورع، ويظهر ذلك من الكتابات المدونة على التابوت .

وتوجد آثار أخرى تمثل أنواعاً أخرى من الأقزام ، منها زورق من الألباستر موجود بين كنوز الملك (توت ـ عنخ ـ آمون) تعلوه قزمة ملتوية القدمين ، ومثل ثلاثة رقاصين فى لعبة من العاج (م . ق ٦٣٨٥٨) ، تخترق قاعدتها ثقوب كانت تخرج منها الخيوط التى كانت تحرك بواسطتها هذه الأقزام العاجية لترقص ، وربما كان الغرض من تلك اللعبة هو التمتع بمشاهدة أولئك الأقزام وهم يرقصون فى الآخرة كما كانوا يفعلون فى الدنيا أمام رجال القصر للترفيه عنهم كما كانوا يعتقدون ، وتدل سيماهم على أنهم من قبائل أقزام أواسط أفريقيا حيث كان الفراعنة يشترونهم بأثمان باهظة من بلاد الجنوب ، ويدل على ذلك نص مكتوب يزدهى فيه حاكم إقليم جنوبى بأنه بعث إلى فرعون أحد هؤلاء الأقزام ضمن الهدايا التى أرسلها إليه .

## * هناك تماثيل تمثل أمراضاً وتشوهات أخرى :

فقد عُثر على طائفة من التماثيل التى تمثل تمثيلاً واقعياً تشوهات وأمراضاً أخرى عديدة كالحول أو كالعمى المصحوب بانعواج الشريان الصدغى وقد يكون صورة رائعة لمرض التهاب الشريان الصدغى ومن عوارضه فقدان البصر .

وقد عثر على طائفة أخرى من التماثيل فى مقابر بنى حسن بالمنيا يرجع تاريخها إلى ٣٣٠٠ سنة تمثل ثلاثة أشخاص مصابين بالكساح .

وهناك رسم شاهد قبر الكاهن المدعو (روما) وهو من الأسرة [١٨] والأصل موجود بمتحف كوبنهاجن (الدنمرك) تشاهد فيه صور هذا الكاهن وزوجته خلفه وابنهما بحجم صغير ، ويفهم من هذا الرسم أن الكاهن كان أعرج ويُستدل منه أيضاً أنه كان مصاباً بشلل الأطفال .



**( الملك امنحتب المصاب بداء الفيل )**

رسم تمثال لأحد الملوك المعروفين باسم امنحتب . وكان مصاباً بداء الفيل (أى شدة الورم فى قدميه) والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالطرقة الغربية تحت رقم ٢٨٧ تراه مرتدياً الحلة التى يلبسها الفراعنة يوم عيد جلوسهم أى لابسا قميصاً أبيض والتاج الأحمر للوجه البحرى «الأسرة ١١» .

أما داء البرص ، فيتضح أن هذا الداء الوبيل انتشر فى مصر فى عهد الدولة الحديثة وكانت أكثر إصاباته فى العبرانيين (اليهود) الذين نقلوه إلى المصريين بالعدوى ، واستمر فى وادى النيل إلى العهد المسيحى بدليل اكتشاف جثة مصابة به فى ذلك العهد .

ويدل تمثال الملك (توت ـ عنخ ـ آمون) الجالس على عرشه حيث تراه نحيف الجسم مما يدل ـ فى رأى بعض المؤرخين ـ أنه ربما كان مصاباً بداء السل ولذا مات حديث السن .



( توت عنخ آمون وزوجته )



رسم رأس جثة الملك رعمسيس الخامس وكان مصاباً بداء الجدرى ولا تزال آثاره باقية إلى الآن على وجهه وباقى جسمه والجثة معروضة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا .



وتقول الأبحاث: إن الرومان كانوا يرسلون المصابين بأنواع السل من بلادهم إلى مصر طلباً للاستشفاء بجودة هوائها وجوها النقى ، ولا يبعد انتقاله منهم إلى الغير بطول المكث والاختلاط .

ويقول المسيو (اليوثميث) : إن الأوراق البردية الطبية تنبئ بوجود مرض السيلان عند أفراد قليلين ، ولكن لم توصله أبحاثه إلى وجود مرض الزهرى عند قدماء المصريين .

وهناك تمثال الملك (امنوفيس الرابع) «خون آتون» وزوجته وأولاده ، والأصل محفوظ فى القسم المصرى بمتحف برلين تحت رقم (١٤١٤٥) وليس له مثال آخر فى الإبداع والإتقان ، وكان هذا الملك مصاباً باستسقاء الرأس ، وكثيراً ما كان يستر هذا العيب بالخوذة وقد صور رؤوس زوجته وبناته على مثال رأسه حتى يخفى عيبه ، واعتبر ذلك من سمات الجمال .

ثم تعال بنا لمشاهدة مومياء رأس الملك رمسيس الخامس ، ويبدو أنه كان مصاباً بداء الجدرى ولا تزال آثاره باقية إلى الآن على وجهه وباقى جسمه والجثة معروضة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا .

ثم نأتى إلى نوع آخر من التماثيل فى المتحف الفرعونى حيث نحظى بمشاهدة تمثال الملك امنوفيس الثانى والإلهة (ماريتساكرو Maritsakro) وهى على شكل الحية الشهيرة بحماية الإنسان من الجن «الأسرة ١٨» ولها أصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى .

وأخيراً هذا التمثال الرائع الذى يمثل غطاء علبة للصدقة منقول من معبد اسكولاب فى مدينة بطليموس بالوجه القبلى وبه ثقوب حيث كان أفراد الشعب المصرى التقى يلقون فيها الدراهم للصدقة ، وهى محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة . ومن خلال هذين التمثالين نعرض لأنواع الحيات السامة المعروفة عند المصريين القدماء ، وأكثرها نوعان : الثعبان الكوبرا والأفعى ذات القرون التى

قال عنها هيرودوت أنه يوجد كثير من نوعها فى جهة طيبة (مدينة الأقصر الآن) .

وكانت الحية عندهم رمزاً للقوة فى التماثيل التى ينقشونها على رؤوس الآلهة والملوك .

وتتضمن بردية «ابرس» الطبية فصلاً خاصاً بمعالجة لدغ الحشرات ونهش الحيات . وكانوا يستعملون أناشيد سحرية توقياً من وصولها إليهم بالأذى . ونذكر من بين التمائم والتعاويذ الخاصة باجتنابها الشاهد السحرى الذى يرجع عهده إلى الدولة الحديثة وهى قطعة من الجرانيت أو البازلت رسم على أحد وجهيها المعبود «حورس» يطأ بقدميه التماسيح ويقبض بيده على الأفاعى والحيات المؤذية ، وعلى الوجه الثانى الصيغ السحرية التى كانت متداولة فى عهدهم للاتقاء منها .

ويجدر بنا أن نشير إلى الوصايا التى جاءت فى نصائحهم الطبية وفى دياناتهم بضرورة نظافة الأفنية ومجامع الطرق ومنعطفاتها من الأوساخ ، وكلها تشير إلى أقرب الوسائل فى التوقى من الحشرات والهوام التى تجتذبها الأوساخ ، والقمامات، فالاعتناء بالنظافة مطلوب ذوقياً ودينياً وصحياً .



رسم الملك امنوفيس الرابع (خون آتون) وزوجته وأولاده . والأصل محفوظ فى القسم المصري بمتحف برلين تحت نمرة ١٤١٤٥ وليس له مثال آخر في الإبداع وإتقان الصنع وكان مصاباً باستسقاء فى الدماغ وكثيراً ما كان يستر هذا العيب بالخوذة وقد صور رؤوس زوجه وبناته على مثال رأسه حتى يخفى عيبه واعتبر ذلك من سمات الجمال

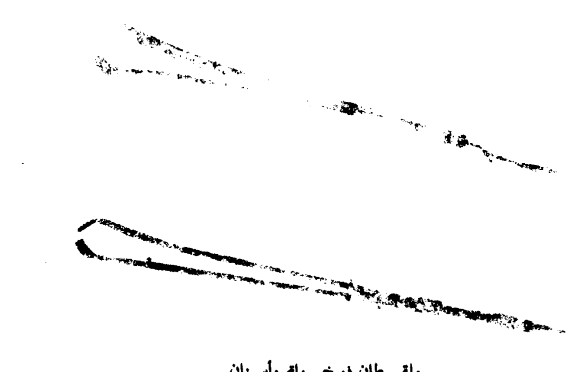
*** نهاية الزيارة والبحث عن أدوات الطبيب المصرى القديم:**

قرب شاهد عصرنا ونحن معه الآن من نهاية الزيارة وعيوننا تبحثان معه عن الأدوات التى كان أطباء ذلك العصر يستخدمونها فى علاج مرضاهم . إن المتاحف تزخر بحبائر ، وبأدوات نسبت إلى الطب ، منها مشارط مستقيمة ، وملاقط ملساء ، وأخرى مخلبية ذات خواتم لتحديد فتحتها ، تشبه الجفت الذى يُستخدم الآن فى التشريح . ومشارط معكوفة ربما كانت أطرافها المستديرة تستخدم فى كشط قاع الأكياس كما أوضحت ذلك بردية «ابرز» وربما كانت قاعدة السلاح تُستعمل على شكل موسع فى أثناء التحنيط ، إذ أن البعض يرى أنها سكاكين كان المحنطون يستعملونها فى تلك الأغراض .

وهناك كرسى الولادة المكون من ثلاثة أجزاء حجرية يوضع فوقها بعض الأثاث لراحة الحامل التى تجلس من بدء المخاض على هذا الكرسى وتكون منحنية إلى الأمام وبين قدميها فضاء يساعد على انزلاق الجنين حين وضعه فتتلقاه القابلة بالتحفظات الواجبة لصيانته وراحة أمه . ويرجع تاريخ كرسى الولادة إلى زمن الأسرة السادسة (أى عام ٢٥٠٠ ق . م) ، وكانت متداولة الاستعمال بين الحوامل من النساء .



آلات يغلب الظن أنها جراحية



ملقــطان ذو خــواتم وأســنان

أما المقصات المزعومة التى تظهر فى الشكل ، فإن مجرد النظر إليها نظرة سريعة يدل أولاً على أن أسلحتها لا تتقاطع ، كما هو الحال بالنسبة للمقصات العادية كما تدل على أن أحد الحدين مستطيل على شكل (سيخ) فى حين أن الآخر مجوف تجويفاً يتسع للأول ، والراجح إذن أن هذه الآلة كانت تستخدم فى تصفيف الشعر .

### * الطبيب الفنــان :

شاهد عصرنا أستاذ الطب فنان بطبعه ، تحدو به عاطفته الجياشة ونحن معه أن لا نغفل تلك المناظر المحزنة ، مناظر المجاعة التى كانت تغص مصر كلها كلما تأخر فيضان النيل ، وما كان يصيب الشعب عندئذ من هزال ، وهو يدعو ونحن معه إلى فكرة إنشاء متحف طبى فرعونى يضم كل النماذج السالفة الذكر ويمكن أن نبرز فى مكان ظاهر صورة الموسيقيين المكفوفين (٨٧) الذين كانوا يحيون الحفلات ، كالأكمه الذى يعزف على قيثارته والذى كان يتغنى فى غروب الامبراطورية الأولى منشداً تلك المقطوعة المتشائمة .

« لن يعيد البكاء أحداً من القبر ..

فاحتف باليوم السار ..

لن يحمل أحد متاعه معه ..

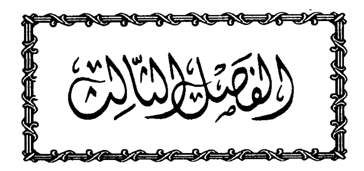
ولن يعود قط من يرحل إلى هناك » .

بالإضافة إلى بعض الصور التى تمثل الكهنة أثناء عملية التحنيط ، وشاهد عصرنا يرى أن تلك العملية كانت دينية خارجة عن إطار عمل الأطباء ، ونحن نخالفه الرأى وسنعرض لذلك فى فصل مستقل . ويمكن إضافة ذلك القدر الذى لا يحصى من تماثيل الأغراب ، وذلك بسبب الدقة التى رسمت بها سيماهم ، تلك الدقة التى تسمح بمعرفة منشئهم لأول وهلة . وكان الفراعنة يأمرون برسمها للفخر ببطشهم وسعة ممتلكاتهم ؛ فمنهم الأتباع القادمون لتأكيد طاعتهم ، أو لتقديم الجزية المفروضة عليهم ، والأسرى الساجدون وقد ربطت أيديهم خلف ظهورهم قبل ذبحهم .

وهم آسيويون كريتيون ، تراهم ساجدين أمام الفرعون ، مقيدين صفوفاً ، مدوسين على الأرض على عتبات العروش ، منحوتين على أسفل العصى لسحقهم فى الرمل ، أو ممسكين من شعورهم قبل قطع رقابهم (م. ق ٧٤٣ ، ٧٦٩) ، وكأنهم وضعوا فى هذه الأوضاع ليخلدوا - من وراء قبورهم - خضوعهم الأبدى لفرعون مصر .

« وهكذا كان المصريون يخلدون فى الحياة الآخرة خصائص حياتهم الدنيا ، وفى الحق إنهم لم يكونوا يهتمون بالفن من أجل الفن ، مع أنهم بلغوا فيه ذروة الإبداع ، ولكن أليس مما يثير الإعجاب والدهشة حقاً أنهم - مع حرصهم على تجنُّب الفناء الأبدى - لم يتصوروا الخلود إلا فى ظل الإبداع الفنى . ولئن كان من حقنا أن نناقش ما كان أجدادنا يؤمنون به ، فما أكثر ما ندين به من عرفان لمعتقداتهم التى حفظت لنا صورة حقيقية عن حياتهم ، فأتاحت لنا أن نتأمل فى عالمنا اليوم ، هذا العالم الذى استطاع علماء الآثار - على حد تعبير السحرة القدامى - أن «يخرجوه بالصوت» .






# المدارس الطبية ونظريات الطب عند قدماء المصريين

## * مدارس الطب عند قدماء المصريين :

عنى المصريون القدماء بالعلوم الطبية عناية كبيرة وعوّلوا على تعميم تداولها وتسهيل تلقينها بين الأقاليم حتى لا تبقى كنزاً تحصره الصدور ويعز الوصول إلى نفائسه . ورأوا أن إنشاء المدارس الطبية داخل المعابد والهياكل فى عواصم الأقاليم لتلقى وتلقين هذا الفن ، أضمن لفائدة الشعب ، وأليق بخدمة الإنسانية كيلا يبقى الطب كطلاسم يحتكرها أفراد بذاتهم بهدف منفعتهم الشخصية .

واختاروا لهذه المدارس أشخاصاً من الموثوق بذمتهم وفضلهم ، المتخلقين بالفضيلة ، ذوى القلوب الرحيمة بالضعفاء ، وقد كان شعار الأطباء فى ذلك العصر هو حلق رءوسهم ، ولبس جلود الفهود على ظهورهم ، واتخاذهم الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يُعرفون به أينما وجدوا .

وبدأوا بإنشاء هذه المدارس فى الجهات الأكثر شهرة وعمراناً ، وكان من بينها مدارس ممفيس وعين شمس وطيبة وصا الحجر ، وكانت المدارس الطبية الموجودة فيها كجامعات كبرى ، حيث يتلقى الطلاب فيها ، الفنون الطبية بأنواعها مع بعض علوم اللاهوت والحساب والهندسة والفلك .

ومن قوانينهم أن لا يرشح لها من الشبان وغيرهم إلا من يكون كثير الصمت ، شهيراً بالثبات والحلم ، وأجريت له عملية الختان ، وأن يكونوا بعد تلقى الدروس وتلقينها فى أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفهاء فيعرضهم ذلك إلى النقائص .

ولم يكن للتعليم أمد محدود من السنين بل كان الطلاب يتلقون المبادئ الدراسية فى بعض الشهور . ثم ينتقى الأساتذة الطلاب الأكثر نجابة إلى فرق أخرى ، وينتخبون من بين هذه الفرق الممتازة أوائل الطلاب ، وهكذا حتى لا يحرم الطالب النابغ من ثمرات التفوق ومميزات الفطنة .



**( المعبودة تويريس إله الحبالى )**

رسم المعبودة تويريس على شكل جاموس البحر . والأصل من الحجر المسن الأخضر بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة ٥ ومهنتها حفظ الحبالى مما يعرض لهن من تعب .

ومتى أتم الطالب دراسته يحصل على الشهادة النهائية فى حفلات التكريم التى كانت تعقد خصيصاً لهذا الغرض (أمام الهيكل المقدس فى حضور الأساتذة ورؤساء الأطباء) حيث يؤدون اليمين القانونية بكتمان أسرار العلوم عن غير أهلها ، وأن يؤدى الطبيب مأموريته فى خدمة المجتمع الإنسانى بالصدق للجميع ، والرأفة على الفقير ، وأن يبدأ حياته فى الميدان الطبى بتمضية بعض السنين فى وظيفتى الكهانة والطب ويتفرغ بعدها لعلومه الطبية .

ومن المأثور عنهم إعداد عيادات فى المعابد والهياكل لفقراء المرضى ومداواتهم مجاناً .. وكان طلاب الطب فى هذه المدارس الطبية الكهنوتية يتمرنون على الأعمال الجراحية وغيرها ليساعدوا فيها كبار الأساتذة عند كثرة الوافدين إلى هذه المستشفيات ، ويختارون لهذه المعابد التى بها المدارس الطبية أماكن فيحاء ويقيمون حولها البساتين والحدائق الحاوية لكثير من النباتات الصالحة لتحضير العقاقير والمركبات العلاجية منها فى معاملها الخاصة بهذه التجهيزات حسب القواعد العلمية .

وكانوا يعتنون بالآلات الجراحية بأنواعها ولا يبعد أن يكون ما اكتشف منها فى مدينتى ممفيس وطيبة من آثار تلك المستشفيات ـ وكانوا يهتمون بالأبحاث الطبية بل وفى شتى العلوم ، وكانوا يحفظون المراجع الهامة فى خزائن منفردة بمكان محفور فى المبانى ، وقد اكتشفت أوراق عديدة من البردى مكتوب عليها فصول ذات فائدة فى علوم متنوعة تدل على حرص القوم واجتهادهم فى تدوين الأبحاث وترقية المعارف جهد استطاعتهم .

### * علاقة الآلهة بالطب :

سبق الحديث عن الآلهة سخمت كأحدى إلهات الطب ولكننا هنا نعرضه بشىء من التفصيل حتى يكون القارئ الكريم على علم به ، وهو يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أهمية الطب عند قدماء المصريين باعتباره ضرورة من

ضروريات الحياة . وكان المصريون القدماء يقدسون الآلهة التى يعبدونها بوجه عام ويزعمون أن بعض هذه الآلهة قد تخصص لشىء من العلوم والحاجيات الإنسانية ، وعلى قدر حاجتهم إليها يجعلون لهم من أجلها احتراماً خاصاً . وكانوا يعتقدون أن «ايزيس» و «سخمت» و «امحوتب» هم آلهة الطب وفنونه ، ويصفون إيزيس بأنها إلهة الطب الحقيقية ، وأن صفاتها الجمالية كانت جذابة للأرواح ، وإليها يرجع الفضل فى كل ما حازه زوجها «ازوريس» من العظمة فى دولته ، وكانت تدعى «هاتور» إلهة السماء ، وتدعى «نيت» إلهة التناسل وينسبون إليها اهتماماً عظيماً بالحوامل ، وشيدوا باسمها معبداً خاصاً معداً لتعليم القابلات وتمريض الحبالى ، تقصده النساء عندما يعتريهن مرض أثناء الحمل ، حيث تستمر فيه الحوامل ، ويعتنى براحتهن ، وتقدم لهن الأدوية حتى ينلن الشفاء ، ويضعن حملهن بسلام .

وكانت سخمت كما أسلفنا تُدعى إلهة الجراحة ، وفى الهيكل المسمى باسمها كان يوجد معلمون لعلم الجبر يتلقاه الكهنة صغار السن حتى يبرعوا فى مهنتهم وعلاج من يقصدونهم للتداوى وطلب الشفاء .

والإله امحوتب كانوا يلقبونه ابن متاح إله الخلق ، ويمثلونه بطفل جالس يحمل سجلاً من ورق البردى مبسوطاً على ركبتيه ، وقد شيدوا باسمه مستشفى فى معبد ممفيس يقصده المرضى من الجهات النائية لينالوا الشفاء بعد مكثهم فيه زمناً محدوداً ، وكان الكثيرون من الكهنة عالمين بمهنة الطب ، بارعين فى تشريح الجثث وتحنيطها .

ولقد اكتُشف بجوار معبد «امحوتب» مكتبة هى أشهر ما تم اكتشافه فى تاريخ مصر القديم وبقيت إلى عصر الرومان ، ومنها انتقلت العلوم الطبية الفرعونية إلى أطباء اليونان الذين برعوا فيها ، ومنها استخرجت بردية برلين الطبية التى كان لها شأن عظيم فى علم الطب .

## * علاقة الطب بالكهنوت :

يتمسك المصريون القدماء كثيراً بالمبادئ الكهنوتية فى مقاصدهم الشريفة حرصاً عليها من الشوائب التى لا تناسبها . وبمقتضى ذلك كان الأطباء على علم تام بقواعد الكهنوت ليباشروا وظائفهم بطهارة القلب ونزاهة النفس وحسن الإيمان بقدرة الإله الأعلى ، ولهذا كان الأطباء يفضلون اتخاذ عياداتهم فى ذات المعابد أو بالقرب منها لأن الشعب وقتها كان كثير التعلق بأماكن التعبد . فعندما يشعر الفرد بأى انحراف أو اعتلال فى صحته يقصد التبرك بأماكن العبادة ومن فيها ، فوجود العبادات بدائرتها تسهيل على المريض والطبيب .

ولثقة الملوك الفراعنة بمكانة الأطباء المشهورين بأنهم خَدمة للبشر جعلوا لهم شعاراً فى زهرات الحياة ، ويمنحونهم معاملة خاصة إظهاراً للعناية بهم وبرهاناً للعطف عليهم ، من ذلك إعفاؤهم من نصف الضرائب المقررة على الممتلكات بأنواعها واستدعاؤهم فى الاحتفالات الرسمية حتى لو لم يكونوا من ذوى الألقاب المدنية لأن لقب الطبيب كان يفوقها تكريماً واحتراماً .

ومن مميزاتهم أن ينتجب أطباء الملوك الأخصائيون ورجال حاشيتهم من أولئك البارعين فى فن الطب ، وعدم حرمانهم من التزوج إذا رغبوا فيه ، والإقامة بعائلاتهم خارج المعبد .

وكان المألوف فى تلك العصور أن يُنقد الطبيب أجراً مالياً عقب شفاء المريض على قدر حالته بين قومه ، ثم عدلوا عن هذه الطريقة وقرروا أن كل مريض يمتنع منذ بداية مرضه عن حلق شعره أو قص شىء منه حتى يتم شفاؤه . وفى يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك للمعابد التى كانت تؤدى للأطباء رواتب شهرية نظير حصولها على هذه الأجور ، مع ما كان يُقدم لها من النذور المصحوبة بصورة العضو الذى تمت معالجته مرسوماً على ألواح معدنية لتُحفظ فى الهيكل تذكاراً وتبركاً .

وكـان الأطبـاء الكهـنة أشـد الناس حـرصاً على كتمان أسـرارهم العلمية ولا يلقنونها لغير الأكفاء . وكان العلماء من الأطباء الكهنة على شهرة عظيمة حتى فى غير بلادهم المصرية ، فكثيراً ما انتدب المشاهير منهم لعلاج الملوك الأجانب فاستوطنوا فى ممالكهم ، ومنهم من كان يستدعى للعلاج ثم يعود كما حصل كثيراً فى عهدى «قورش» و «دارا» ملوك الفرس .

**هل عرف المصريون القدماء التخصص فى الطب ؟**

الإجابة : نذكرها بكل فخر واعتزاز نعم ؛ لقد عرف أجدادنا المصريون القدماء التخصص فى الطب فقد ذكر المؤرخ الإغريقى الشهير «هيرودوت» فى كتابه عن الطب والأطباء عند قدماء المصريين أن كبار الأطباء وهم من خيرة العلماء كانوا فى أواخر الدولة الحديثة أى القرن الخامس (ق . م) يجعلون لأنفسهم اختصاصاً فى بعض الأمراض يتفرغون للبراعة فيه . فمنهم من كان للأمراض الباطنية ، ومنهم من كان للرمد ، ومنهم من كان للرأس والأسنان ، فليس التخصص من محدثات هذا العصر كما يزعم البعض .

وشيء آخر نذكره بالفضل والعرفان لأجدادنا القدماء وهو أنهم كانوا ينتدبون بعض الأطباء لمعالجة المرضى والجرحى فى الحروب . ومن هذا يتضح أن اصطحاب الأطباء بالجيوش المحاربة فى تنقلاتها ليس من مبتكرات العصر الحاضر بل قد سبقت إليه عناية قدماء المصريين اعترافاً بفضل أطبائهم ، وحرصاً على حياة أبنائهم فى ميادين القتال .

**ثم ماذا عن الأطباء المصريين القدماء ؟**

نقول : كان بين الأطباء المصريين من يفضل الوجود فى المدن الأجنبية التى يكثر تردد التجار المصريين عليها ليؤدوا لهم ما يحتاجون من المعالجة والإسعافات مجاناً ؛ لأن الحكومة كانت تمنحهم الرواتب الوافرة للقيام بذلك . ولأولئك الأطباء شهرة ذائعة الصيت فى تاريخ العالم القديم ، وتشهد مؤلفات أهله بذلك

فقد أشاد بهم هوميروس وهيرودوت وسترابو وديودور الصقلى فى كتاباتهم .

وكان لبقية البلاد ما يوجد فى عواصمها من الأطباء البارعين للعلاجات المتنوعة ومن ضمنها تجبير العظام ببراعة يتوارثها عنهم بعض الخلف إلى اليوم .

ولما انتشر علم الطب بين الطبقات فى خدمة الهياكل البسيطة اكتفوا بما كانوا يتلقونه فى معالجة الفقراء مجاناً بدلاً من الرُّقى والتمائم التى كانت متبعة فى تلك الأحيان، وبعض البسطاء ما زالوا يتمسكون بها فى الأقاليم حتى الآن.

## * علاقة الطب بالسحر عند قدماء المصريين :

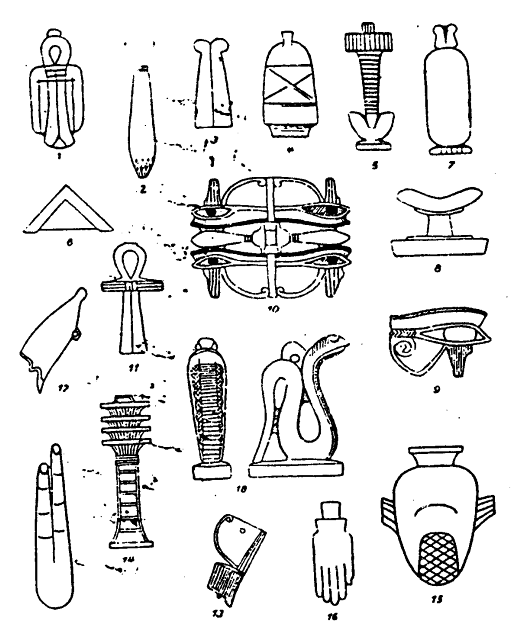
كان قدماء المصريين يعتقدون أن كل مرض من الأمراض المختلفة التى تصيب الإنسان سببه أرواح خبيثة تتسلط عليه بقوتها الشريرة على الأجسام ، فتحدث بها هذه الأمراض ، وهذه القوة الشريرة عند مقابلتها بالتأثير الأقوى تتلاشى ويشفى المريض . فكان للعلاج عندهم طريقتان : الأولى ؛ بالمؤثرات الروحية التى يعتقدون أنها محصورة فى بعض الكهنة والسحرة ، والطريقة الثانية فى العلاج باستعمال العقاقير الطبية المعتادة لطالب الشفاء ، والسر فى ذلك عندهم أن المعبود «تحوت» رئيس السحرة كان أوصى إلى قومه المصريين القدماء بتأثير سرها فى العلاج ؛ وأنها من الخواص الملموسة باليد ، ففائدتها تكون أكثر وأنفع من تلك القوى الروحية المعنوية التى قد لا تؤثر فى أحيان كثيرة .

ومما ذُكر فى الأوراق البردية الطبية أنهم كانوا يُشفعُون تلك العقاقير بالصيغ السحرية الجازمين بفائدتها فى معالجة الأمراض ، وكانت هذه الصيغ السحرية ذات معان رمزيه متعددة ، وكان أغلب الكهنة علم بتأثير الروحانيات على الماديات ويرجع الأصل فى ذلك إلى .وة العقيدة الدينية وانقياد الناس إليها والشعب المصرى بفطرته وسلامة سجاياه أقرب إلى حسن العقيدة والتصديق ، ولهذا أُشير فى بردية «إبرز» الطبية إلى أن الرقية والدواء كل منهما يفيد فى مصلحة الآخر .



جد ـ حور الساحر الشافى ، متحف القاهرة

وكانوا يعتقدون أن لكل من الموجودات الكونية روحاً تلائم عنصره وفصيلته، وتلك الروح تجعل له من الحياة ما يلائم طبيعته التكوينية ولهذا زعموا تسلط الطبيعة على الإنسان ، وأن الساحر كان يتسلط بقوته النفسية على مجموع هذه المؤثرات فيكون له على باقى النفوس قوة الإخضاع والتأثير فيما يشاء .



**( أشهر التمائم المصريــة )**

١- ابزيم حزام (ويدعى دم ازيس) .

٢- صولجان على شكل الورق البردى .

٣- تاج من ريش النعام . ٤- خصلة (Troddel بالألمانية) .

٥- علامة الاتحاد . ٦- زاوية مثلثة .

٧- خرطوش (حلقة مستطيلة يكتب فيها قدماء المصريين أسماء الملوك والملكات)

٨- مسند للرأس ٩ - ١٠ عينان .

١١- علامة الحياة . ١٢- تاج للوجه القبلى .

١٣- تاج للوجه البحرى .

١٤- علامة للبقاء والخلود (ولفظها بالمصرية القديمة دد) .

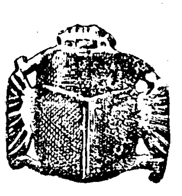
١٥- قلب . ١٦- يــــد

١٧- أصبعان ١٨- الحية المقدسة

ومن معتقداتهم القديمة أيضاً أن لكل آدمى قريناً من الجن يلازمه فى الحياة ويتبعه فى الموت ، وكان يسمى فى اللغة المصرية القديمة (كا) ورسموه على شكل ذراعين مرفوعين ، فالدنيا فى اعتقادهم مملوءة بقوة الأرواح المؤثرة ، فيجب على الإنسان اتقاء ما يخشاه فيها من الشرور إن استطاع ذلك بنفسه أو بمعونة الغير فى مقاومة ومطاردة ما يحذره أو يحل به ، ولا تزال خزائن المتحف المصرى وهى بين أيدينا اليوم مفعمة بأنواع التمائم والتعاويذ والأشكال الأخرى التى من قبيلها . وكان الأقدمون يصنعونها من الطين الصرف أو الممزوج بمسحوق الزجاج والحجارة ويطلونها بالألوان ، ويضعونها فى القبور كأنهم كانوا يعتقدون نفعها حتى فى عالم البرزخ .



جعران نخاو الثانى فرعون مصر «الأسرة ٢٦»





رسم جعران آخر

# نظريات الطب عند قدماء المصريين

## * النظريات العامة للأمراض :

لقد افترض قدماء المصريين أن لكل مرض سبباً ، وأن الجسم يولد حياً صحيحاً ، ولا يمرض أو يموت إلا بفعل فاعل دخيل عليه ، ولفظ «دخيل» يستعملونه بمعناه الحرفى فيقصدون به تسللاً مادياً إلى داخل الجسم وهو ما نسميه بلغة الطب الحديث «مصدر العدوى» .

وقد يكون هذا الدخيل ـ من وجهة نظرهم ـ ظاهراً للعين كالجروح والحروق والسموم والإفراط فى الأكل إلخ ـ وفى هذه الحال يسهل عليهم معرفة علته والتخلص منها بالطرق الملائمة ، أما إذا كان الدخيل خفياً ، ساروا وفق افتراضاتهم المستمدة من نظرتهم إلى الحياة ، كما سار من جاء بعدهم قبل نشأة علمى الميكروبات والكيمياء الحيوية .

### «أ» الأسباب الخارجية :

#### ١ـ الهواء :

والهواء أولى العلل التى افترضوها للأمراض ، وقد ورد ذكره فى عبارات عدة بمعان مختلفة أتى فى كل منها بمعنى ، بحيث كان يحمل مدلولات شتى ، تشمل معنى الريح ، والزفير ، والنفث ، أى القوى التى تنبثق مع النفس . وهذا التعبير نفسه هو الذى أدى إلى تسمية مرض الملاريا بهذا الاسم ، إذ أن هذه اللفظة Malaria معناها «الهواء الفاسد» بعد أن لوحظ انتشار المرض بالقرب من المستنقعات الراكدة حيث يفسد الهواء .

والمعنى الأول أى «الريح» تجده فى عبارة «أبعاد ريح طاعون السنة» التى وردت على ظهر (قرطاسة أدوين سميث) وهذا يوحى بأنهم فطنوا إلى أثر الهواء فى نشر الأوبئة .. وأنهم سبقوا ـ ولو فى تواضع ـ مؤلف أبقراط عن الأهوية .

أما المعنى الثالث فهو أقل واقعية من المعنيين الأولين ، بل إنه ملون بالطب الروحانى ونجده فى الوصفات التى ترمى إلى «إبعاد ريح شخص حى أو ميت أو ميتة أو عدو أو عدوة أو إله أو إلهة» ولا شك فى أن المقصود هنا هو النفس أو النفث ، وهذا تعبير روحانى لا يؤدى معنى العدوى بجراثيم النفس ، فإنَ النَّفَس ـ فى نظر الشعب ـ حامل للروح وفقدانه هو الموت، وكان أول طَقس من طقوس التحنيط وإعادة الحياة إلى الميت فى ديانة المصريين القدماء ، هو طقس سمى فتح الفم ، والسحر يؤمن بقدرة النفث على إلحاق الضر بالإنسان ونحن ما نزال نقول عمن يقع ضحية عمل سحرى إنه «اتنفس» .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[سورة الفلق]

ولكن لا شك فى أن التعبيرات مع أنها مبنية على السحر تحتوى على عناصر تجريبية ربما أتت نتيجة لملاحظة واقعية ، فإن الريح تحمل الأمراض لسخونتها أو برودتها أو رطوبتها أو بفعل الجراثيم التى قد تحملها ،كما أن نفس المرض ينقل بعض الأمراض المعدية ، وان تعرّض الجروح أو الأغذية للهواء يؤدى إلى تلوثها بالجراثيم .

**٢ـ عيـوب التغذيـة :**

والمجموعة الثانية من الأسباب التى ذكروها ترجع إلى عيوب التغذية ، إما لعدم صلاحيتها أو نتيجة للإفراط فيها ، وعدوا لذلك أمثلة منها : أكل الجميز غير الناضج واللحم المتعفن ، واللحم الذى زاد طهوه ، وشرب الجعة (البيرة) الساخنة ، والشرب مع أكل نوع من السمك .

وفى وصف تأثير الخمر قالت قرطاسة (إنسنجر) : « من ملأ نفسه بالنبيذ أقعده ألم الشّعر فى مضجعه » ، ومن الطريف أن الصداع الناجم عن احتساء الخمر يوصف أيضاً فى الفرنسية بألم فى الشعر .

وهناك وصف واقعى لحالة سُكْر يقول : « سقط إكليلك من رأسك حول رقبتك ، إنك تزحف على بطنك ، ثم تقف وتعاود الوقوع على بطنك ، إنك ملطخ بالقاذورات » ولا شك أن الإفراط فى الأكل والشرب كان شائعاً بين الأثرياء من المصريين ، فقد وردت نصيحة فى بردية «إيبرس» بوجوب اجتناب الأكل قبل عودة الشهية وهى تذكرنا بقول النبى ﷺ :

« ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صُلبْه فإن كان ولا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

ومما يؤكد أنهم كانوا يعزون علة كثير من الأمراض إلى الإفراط فى الأكل أو إلى تعفن الأطعمة فى الأمعاء ، إن هيرودوت ومن بعده «ديودور» الصقلى رويا أن المصريين اعتادوا تناول المسهلات والمقيئات ثلاثة أيام متتالية من كل شهر . كما أن ذكر الملينات والحقن الشرجية واللبوسات يتكرر فى أغلب وصفاتهم . ثم إن (قرطاسة شستر بيتى) بأكملها ، وأجزاء كبيرة من (قرطاستى هرست وإيبرس) لم تتناول سوى البواسير وأمراض الشرج ، بل إن أحد مشاهير الأطباء حمل ضمن ألقابه «راعى شرج فرعون» .

ترى هل نعجب لهذه النظرية القديمة: نحن الذين نسبب أمراضاً عدة تؤدى إلى «عفونة» أو «وساخة» فى المعدة أو المصارين . ونقول إن «المعدة بيت الداء» وكنا نُحتِّم إلى عهد قريب تناول شربة زيت الخروع بداية لكل أنواع العلاج حتى إذا بدت العلة بعيدة عن الأمعاء مارسنا أنواع أخرى من العلاج ، وهنا يجدر الذكر أن (قرطاسة إيبرس) قد أفردت فصلاً كاملاً للخروع فضلاً عن أنه كان يذكر فى العديد من الوصفات .

هل نستغرب هذا وقد أسس السير (أربثنوت لين) الأستاذ الإنجليزى ذائع الصيت نظريته المعروفة على تعليل المرض باحتجاز الغائط فى الأمعاء ؟ الأمر الذى يترتب عليه ضرورة تسليك مجراها بالجراحة وقطع الالتصاقات التى تعوقها

... إلخ من الإجراءات التى تكفل مرور الفضلات للتخلص منها . وما تزال بلاد المياه المعدنية مثل : فيشى ، ويلومبيير ، وكادلسباد ، تكتظ بالمرضى الذين يترددون عليها لشرب المياه المعدنية الملينة ولغسيل الأمعاء الغليظة بعشرات اللترات من مياهها .

**٣ـ الغائط :**

ونستنتج من اهتمامهم بمحتويات الأمعاء أنهم كانوا يعدون الغائط سبباً مهماً من مسببات الأمراض ، ويبدو أنه كان فى نظرهم يسبب المرض إما بانتقاله إلى غير مقره وإما بتعفنه .

ولكن فكرة الغائط أوسع من أن تنحصر فى المواد البرازية فحسب فإن الغائط عند الإغريق كان ينتج عن هضم الأغذية (pepsis) ولم يكن التعفن فى نظرهم إلا خطوة فى تلك العملية ، فإذا ما اجتاز حدوده الطبيعية تحولت مادة الغائط إلى مواد غير طبيعية قد تسبب المرض ، وهى شبيهة بالتى سماها جالينوس (بريتوما peritoma) .

وقد ظن المصريون أيضاً أنها فى تلك الحال قد تتحول داخل البطن إلى ديدان ، أو تسرى فى الأوعية فتتسرب عن طريقها إلى الأنسجة وترسب فيها ، فتتحول إلى خراج أو ورم أو قرحة .

وهناك لفظة حار اللغويون فى تحديد معناها وإن اتفقوا على أنها تؤدى إجمالاً معنى المادة المرضية أو الخلط المرضى ، وهى لفظة «أخدو» .

وهذا «الأخدو» كان مركزه حسب القراطيس فى الأمعاء ، كما كان يصح أن يسرى فى الجسم فيسبب فيه شتى الأمراض فى جميع أجزائه ، فتظهر ظواهره فى الأوعية والرأس والفم والأسنان وتجويف الصدر والقلب والبطن والشرج والأورام والقروح والخراريج . أما نشأة «الأخدو» فإن جزءاً كبيراً من مفكرى قدماء المصريين كانوا ينسبونه إلى التعفن المعوى كما أسلفنا .

وكان «الأخدو» يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمرض سموه «عاع» وقد حار المؤرخون في تحديد هذا المرض وقال بعضهم إنه الانكلستوما ، وقال البعض الآخر إنه البلهارسيا.

**٤ـ العـاع :**

لقد ذُكر هذا المرض في أربعة قراطيس : ٢٨ مرة في (بردية إيبرس) ، ١٢ مرة في (قرطاسة برلين) ، ٩ مرات في (قرطاسة هرست) ، ومرة في (قرطاسة لندن) ، ويستخلص من الأوصاف الإكلينيكية التي ذُكرت بصدده أنه كان مصحوباً بانتفاخ معوى وبآلام في البطن ودق ووخز وهروب في القلب .

وقد أضاف «إبل» إلى تلك الظواهر ، الإفرازات الدموية التي قال عنها إنها من البول في حين قال آخرون إنها من الغائط وأكد أن العاع هو البلهارسيا .

أما عن صلة العاع بـ «الأخدو» فإن النصوص تقول : « لقتل الأخدو وإبعاد العاع أو إبعاد العاع وقتل الأخدو » .. الأمر الذي يشير إلى أن العاع الذي يجب استبعاده ليس بالعامل المباشر للمرض ، وإنما هو المحرك الأصلي الذي يسبب المرض عن طريق «الأخدو» ، هذا «الأخدو» الذي كان يجب قتله للإبراء .

وإن صح أن العاع سببه الديدان ، فقد أكدت الأبحاث الحديثة أن نسبة المصابين بأكثر من طفيل واحد من بين جملة المصابين تربو على ٩٠٪ في الدلتا ، ولذا فإننا لا نستغرب أن يكون ما أطلقوا عليه اسم العاع ليس إلا مجموعة ظواهر من عدة طفيليات ، مثل الانكلستوما والبلهارسيا ، والاسكارس والديدان الأخرى ، التي اعتادت التحالف في جسم المريض الواحد .

ربما شاهد المصريون إذن ـ في الحالات المصابة بالبلهارسيا الخبيثة في الأوردة ـ ديداناً مرئية مثل الاسكارس أو الانكلستوما ، ولم يميزوا بين الاثنين ، فعرّفوا العاع بأنه عنصر خارجي يدخل الجسم فيتسبب عنه «الأخدو» الذي قد يظهر في البراز على شكل ديدان أو في الجسم على شكل مرض .

٥ـ الديدان :

الديدان هي من مسببات الأمراض عند المصريين القدماء ، فقد جاء في (قرطاسة أنسطاس) أن تسوس الأسنان سببه الديدان ، ونحن ما نزال نسمى تآكل الأسنان «السوس» ، كما نطلق هذا الاسم على التهابات العظام المزمنة ، درنية كانت أو غير درنية ، وجاءت وصفة في (بردية إيرس) ونقلتها أيضاً (قرطاسة هرست) يقصد بها علاج الديدان الموجودة في الأصابع ، الأمر الذى يجعلنا نتساءل : أكان المقصود الداحس أو الشرانق التى تصيب أحياناً الجروح المتقيحة .

ومن الطريف في شأن الداحس أنه يسمى في ألمانيا الشرقية (Nagelwurm) ، أى دودة الظفر ، وأن لفظ داحس مشتق من الأصل الثلاثى الذى اشتقت منه لفظة أخرى هي الدحاس ، وهو اسم نوع من الديدان يعيش تحت الأرض .

وهناك تعويذة غريبة على ظهر (بردية إدوين سميث) وهو الجزء السحرى منها وقد تشير إلى نسبة المرض إلى حشرات تدخل الجسم عن طريق الفم : «تعويذة لرجل ابتلع ذبابة» : «إن فاه نقى مثل فم العجل الوليد لتوه الذى لم يدخل جسمه طعام ، إن الحشرة التى ابتلعها ستخرج منه حية وستقع منه كالفضلة دون أن تؤذى بطنه » . والظاهر أن العجل الوليد الذى لم يأكل بعد كان في نظرهم غاية في الطهارة ، فقد ورد التشبيه ذاته في نصوص الأهرام : « إن أوناس طاهر كالعجل الوليد الذى لم يرضع من أمه » .

## «ب» المسببات غير المرئية للأمراض :

### ١ـ الأسباب الروحانية للأمراض :

أما إذا كانت مسببات المرض غير ظاهرة فكان يتحتم على المصريين القدماء نسبتها إلى عناصر خفية طبقاً لنظرتهم المنطقية للمرض وكان طبيعياً في ذلك

العهد من التاريخ البشرى أن تكون بعض تلك العناصر روحانية ، كغضب الآلهة، أو انتقام الموتى ، أو فعل الأعداء شأنها فى ذلك شأن الأمراض النفسية فى العصر الحديث .

فكان الطبيب إذا ما اقتنع بأن مرضاً ليس من الأمراض العضوية أحال المريض على زميله الساحر ، وقد وردت أمثلة عدة لهذا التمييز . مثل رواية أميرة بختان التى أرسل إليها رمسيس طبيباً لعيادتها فقال هذا الطبيب : « إنى لا أقدر على هذا المرض ، استنجدوا بمن هو أقوى منى ، الإله خونسو ، إنه أقوى منى » وقد فعلوا فشُفيت الأميرة ، فلا يدهشنا إذن أن نرى بعض الأطباء وقد حملوا ألقاباً تجمع بين الطب والسحر مثل : تى عنخ رع الذى كان مفتش الأطباء وكاهن الإلهة سخمت ورئيس السحرة .

وقد أوصت قراطيسهم بعلاج عضة الإنسان أو الأسد أو فرس النهر أو التمساح بالعقاقير والمراهم فى حين عولجت عضة العقرب والثعبان باستخدام النصوص السحرية (نص حجرة مترنخ) أو بالرقى والتوسلات (بردية لندن) .

وكان للأرواح المؤذية رئيس يستقبلها فى الجسم ويوجهها ، كانوا يسمونه (الواشى) أو (النمام) ، ومن الطريف أن لفظتى (Devil) الإنجليزية و (Diable) الفرنسية ومعناها «الشيطان» مشتقتان من (Diabolos) الإغريقية ومعناها أيضاً (الواشى) أو (النمام) .

وكانت تلك الأرواح تتسلل إلى المنازل وتختبئ فى الأركان ، الأمر الذى كان يستوجب إحكام إغلاق النوافذ والأبواب ووضع التعاويذ عليها لمنع هذا التسلل . وكذلك فإن الآلهة الخيرة كانت ترسل الأمراض أحياناً عقاباً على العصيان .

وهكذا نجد أن أبشع ورم وصفوه كان ورم الإله خوتسو الذى كثيراً ما كان يوصف أيضاً بالإله الشافى ، وفى هذه الحال كان يتعين – فى التماس الشفاء – اللجوء إلى الإله ذاته الذى سبّب المرض لاسترضائه .

## ٢ـ الأسـباب النفسية والعصبية للأمـراض :

ثم إن المصريين لم يهـملوا الأسـباب النفـسـيـة ، فـقـد جاء وصف الحزن ، والحنين إلى الوطن ، والحب فى قـصـائدهم الشـعـرية ، لنصغ إلى مـا قـيل عن مرض «سانتى خـامويس» : « تدثر بثيابه واضطجع وهو لا يدرى له مـسـتـقـراً . فوضعت زوجته يـدها تحت ثيابه وقالت : يا أخى ليس بك حمى ، وأعضاؤك مرنة ، إنه حزن فى قلبك » .

ثم استمع إلى المغترب يصف حنينه إلى الوطن وتـشوقه إلى العـودة فيقول : «ألا ترى الطيـور المهاجرة تعـود أدراجها إلى مـصر ..؟ إلى مـتى سأظـل نائياً عنهـا ..؟» وهاك وصـفـاً آخر : ليرضى عنى (بتـاح) فـيـعود بى إلى منف .. ضعفت عيناى

وهاك شعراً يقدم صورة قاتمة لليأس من الحياة : « إن الموت أمامى كالصحة كالعليل .. كرائحة اللوتس .. كالحنين إلى دارى بعد الأيام التى قضيتها فى المعتقل » .

أما المحبون فكانوا يسخرون من الطب والأطباء : « إن قدوم المحبوبة أنجع من الدواء ، وأجدى من الموسوعات الطبية » أو « سأعتكف بالدار وسوف يدخل علىّ الجيران للزيارة ، ومعهم من أحبها وسيزرى سحرها بنطس الأطباء لأنها هى التى تعرف دائى » .

إلا أنهم لم يكتفوا بتفسير الأمراض العصبية بالعوامل النفسية أو الروحانية ، فقـد ورد فى «بردية كـاهون» وصف ظواهر عصبية من تلك التى ننسبـهـا إلى الهستيريا ، نسبوها هم إلى اضطرابات الرحم أو انتقـاله من موضعه ، وتذكرنا هذه الكلمـة بالإغـريق إذ إن كلمـة هسـتـريا مشـتـقـة من (هسـتـر) وهو الاسم الإغريقى للرحم .

## سلوك المرض فى الجسم

أما السبيل الذى كانت تسلكه المسببات السالفة الذكر للأمراض فيمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل :

١ـ الدخول إليه .

٢ـ الانتشار فيه .

٣ـ الخروج منه فى حالة الإبراء .

أما دخولها فكان حسب نصوص عدة عن طريق الفتحات الطبيعية الموجودة فى الجسم كالفم والأنف والأذن ، أو عن طريق أفواه افترضوا وجودها فى الأوعية تستقبل فيها الأمراض أو تطردها عنها .

وقالوا إن انتشارها يتحقق عن طريق الأوعية ، وأن التخلص منها يتم كذلك إما عن طريق بعض الفتحات الطبيعية للجسم كالشرج أو البول ، وإما عن طريق فتحات الأوعية المزعومة وقد ورد ذلك فى قراطيس سحرية ، وإذن فيمكن الظن بأنها كانت تؤخذ بمعناها المجازى فقط .

**الميتو :**

أطلقت هذه الكلمة المصرية على عناصر تشريحية مختلفة ، تشمل الأوعية والقنوات والأعصاب والأوتار ، وما إليها فى الطول والرفع والصلابة ، كما يطلق الشعب كلمة (عرْق) على الأعصاب والأوتار وغيرها من العناصر حتى القرون الوسطى . فهم نظروا إذن إلى الميتو على أنه شبكة مواصلات ورى واسعة ، تتخلل الجسم فتوزع فيه الدم والماء والهواء والإفرازات المختلفة كالدموع والمنى ، وتنقل الغائط والأمراض ، ولم يقصروا تلك النظرة على الأمراض المادية ، بل ظنوا أن الأمراض الروحانية التى تسببها الآلهة والأعداء والموتى والأرواح الشريرة

تنتشر كذلك عن طريق شبكتها ، كأنهم أضفوا على تلك العوامل المجردة صفة مادية واقعية ، ورأوها تنتقل من جهة إلى أخرى ومن عضو إلى آخر فتسبب الخراريج والأورام والأمراض العامة ، ويتحتم التخلص منها بالمفرغات كالشرب والمقيئات .

## * العناصر المرضية السارية فى الجسم :

ناقشنا أحد تلك العناصر وهو «الأخدو» أما السبب الثانى فهو الذى أطلقوا عليه لفظة «ستيت» التى ترجمها (جرابو) بالمخاط ، ورأى (إبل) أنها تقابل فكرة البلغم وهو أحد الأخلاط الأربعة التى قال بها اليونان والعرب وسادت الفكر الطبى حتى القرن التاسع عشر .

ولفظة «ستيت» أطلقوها على مادة سائلة تجرى فى الجسم وقد يصيبها التعفن فإذا وصلت إلى عضو أحدثت فيه المرض ، وقد تتحول فى الأمعاء إلى ·ان .

ما الأمراض التى ذُكرت ضمن ما تحدثه من خلل فهى تشابه الأمراض التى كانت تحدث نتيجة للبلغم فى نظر الإغريق . على أن الكلمة ذاتها استعملت أيضاً بمعنى الروماتيزم ولذا فإن (إبل) يرى أن المصريين كانوا لا يفرقون بين الخلط المرضى والمرض ذاته .

أما العنصر الثالث فهو ما سموه «رووث» الذى قد يقابل فكرة خلط آخر من الأخلاط الأربعة وهو المرارة .

## * الإبراء (الشفاء) :

كانت تلك المواد تسرى فى الجسم وتسبب المرض الذى كان ينتهى إما بالوفاة أو الإبراء ، وهو خروج المرض من الجسم خروجاً فعلياً عن طريق إحدى الفضلات أو الإفرازات أى الغائط والبول والقيء والعرق والمخاط ـ على حد

زعمهم ـ وهذه الصورة لخروج المرض تشبه تماماً التفريغات البحرانية التى وصفها (أبقراط) والعرب من بعده .

## * الاختلافات الكمّيّة فى الدم :

تشير نصوص عديدة إلى أن المرض هو أن (القلب لا يتكلم فى الأعضاء) ولعلهم بهذا قد عبروا عما يحدث عندما تنسد الشرايين إما بتجلط الدم فيها أو بضيق يصيبها نتيجة لتصلب جدرانها أو تقلص عضلاتها . وهذا يدعو إلى التعجب إذ إن (أبقراط) قال فى «المرض الإلهى» أى الصرع : « إن البلغم فى الأوردة يعترض الهواء فلا يصل هذا الأخير إلى المخ أو الأوردة » .

وكذلك كانت زيادة الدم فى الأوعية أو الرئتين أو القلب تسبب المرض ، ويذكرنا هذا بنظرية إغريقية يمكن ترجمتها بامتلاء الدم أو بالاكتظاظ (plethora) وقد أشار (سيجرست ، ومارتى ـ ايبانيير) إلى أن فكرة القنوات الموصلة للحيوية والصحة (فكرة الأوعية الدموية) ، فكرة طبيعية عند شعب اعتمد على رى أراضيه، وقاسى من قحط نهره وإفراط فيضه ، فشق القنوات وشيد السدود لتنظيم مياهه ، وهذا مثال جيد لتأثير محيط القوم الجغرافى على فلسفتهم فى الحياة .

## * علاقة الطب المصرى بنظرية الأخلاط :

قال الإغريق: إن الجسم مكون من أربعة أخلاط هى : الدم والبلغم والصفراء والسوداء . وقالوا : إن توازنهم أساس الصحة ، وإن طغيان أحدهم على الآخرين أساس المرض ، وإن طبائع الإنسان بالمثل أربع ، تبعاً لسيطرة أحد الأخلاط على الآخر ، فوصفوا المزاج الدموى الذى يغلب فيه الدم والصفراوى والسوداوى والبلغمى .

وقـالوا أيضـاً : إن المرض يحـدث لغلبـة أحـد الأخـلاط ، وإن عـلاجـه يتـم بالتـخلص من الخلط الزائد لإعـادة التـوازن ، كـمـا قـالوا إن الخلط الزائد يغـادر الجسم فى الغائط أو البول أو العرق أو الخراج عند البرء من المرض ، فهل فيما رأينا ما يبرر إسناد تلك الآراء إلى المصريين ؟

هنا يجب أن نلاحظ أن نظرية الأخـلاط الأربعـة لـم تكن وليـدة الملاحظة والاختبار . بل أتت على العكس نتيجة لتأملات الفيلسوف (أنبادقليس) المجردة التى بنت الكون على أربعة عناصر هى : الأرض والهواء والنار والماء ، ونظريات (فيـثـاغـورث) الخـاصـة بخـواص رقم (٤) الذى عـده رقـمـاً كـامـلاً . إلا أن (فيثاغورث) قد تتلمذ طويلاً على كهنة المعابد المصرية ، وأن المصريين وصفوا فى كتبـهم السرية أركـان الكون الأربعة ، وإن كانت تلك النصوص ترجع إلى حقبة متأخرة من تاريخهم .

ولكننا ، إن ذهبنا إلى حسبـان الماء والهواء والدم والمواد الأخرى ، التى قالوا عنها إن الميتو تنقلها مساوية للأخلاط ، وحتـى إذا أخـذنا بأن ألفـاظ (أخدو) و (ستيت) ومـا إليـهـا تقـابل الأخـلاط المرضيـة ، فـمـا أكـثـر الفـرق بين تلك النظريات وبين نظرية الإغريق ، إذ إن الأخلاط - فى نظر (أبقراط) وغيره - هى مقومات الجسم الطبيعية التى تقوم عليها الصحة إذا ما وجدت بنسبها الطبيعية ، بيد أن الأخدو والستيت ... وغيرها ، تبدو عوامل مرضية بحتة ، ولم يرد - البتة - ما يفيد بأنها من أركان الجسم الصحيح .

كـمـا أن نظرية الأخلاط الأربعة لم تزدهر وتأخذ شكلها الأخير إلا بعد تطور طويل على ضـوء النظريات الحسـابيـة التى ابتـدعـهـا (أنبادقليس ، والقـمـايون ، وفيثاغورث) وغيرهم من فلاسفة الإغريق .

ولربما قـال قـائل: إن النظريات التى سلف بيـانهـا ، لا تربو على الأفكار الشعبية الحالية للمرض ، وفى هذا القول حقيقة عميقة ، فإنها جميعاً مستمدة

من منبع واحد هو منطق سببى ينبع عن فرض روابط سببية بين حدثين يتعاقبان فى الزمن ؛ غير أن هذا المنطق فى ذاك الزمن كان ينقصه محك التجربة التى لم يكن إليها سبيل .

وبما أن تلك الأفكار تولدت عن التفكير الطبيعى للإنسان فإنها كانت القاعدة الحتمية التى بنى عليها اللاحقون تجاربهم وأفكارهم فانطلقت منها العلوم الحديثة .

فضلاً عن صعوبة البحث فى العلوم المصرية القديمة نتيجة الصعوبات اللغوية .. بالإضافة إلى أن ما وصلنا عن قدماء المصريين قليل ،-ونحن ما ننفك نأمل أن تكشف أرضنا الغيورة – يوماً ما – عن مزيد من تلك المعلومات التى تكتنزها، بوتضن علينا منها بالكثير .

ومن يدرى فربما أتاح لنا حُسن الطالع أن نشهد يوماً تكشف فيه عن مدرسة من تلك المدارس التى كانت تُسمى «بيوت الحياة» وحينئذ سيُقدَّر لنا أن نقف على حقيقة علم المصريين الذين بلغوا بلا ريب شأواً كبيراً فى الطب ، ولو أننا لا نرى منه اليوم إلا جزءاً ضئيلاً من خلال ثقب ضيق ؛ الأمر الذى يجعلنا نعمد كثيراً إلى الفرض والتخمين .

### * القوانين الصحية :

اجتهد المصريون القدماء فى تطبيق القوانين الطبية على مقتضيات الحالة الصحية علمياً ، فمن قواعدهم الصحية النظام الخاص بالمواد الغذائية فى أوقاتها، وكانت هذه القواعد متبعة أيضاً على أشخاص من الملوك فلا يتناولون أكثر مما يقرره لهم أطباؤهم فى مواد الغذاء والشراب ، وتحديد الأزمنة لرياضتهم ، وقيامهم بمباشرة الشئون العامة الحكومية .

قال (ديودور الصقلى) : إن الأمور الطبيعية كالمباضعة كانت منظمة عندهم حتى خصصوا لها أوقاتاً معينة، وقال (هوميروس وبلوتارك) : إن كل مصرى فى ذاته كان كطبيب خاص لعائلته لاعتيادهم على اتباع القوانين الصحية منذ نشأتهم . وكان قدماء المصريين يعتبرون الأطباء كمعلمين ، يتلقون عنهم العلوم الصحية ويلقبونهم (محاميّ الصحة) ، حتى لقد اعتبرهم اليونانيون «أنهم منشئو علم صحة الأبدان» وقالوا: إن المصريين هم الشعب الوحيد السليم البنية الذى يمكنه أن يعمِّر طويلاً مع بساطتهم فى أدوار الحياة ، وتناول الأغذية البسيطة ، وليست كذلك الشعوب الأخرى .

واشتهر الشعب المصرى بالإيناس والبشاشة والنظافة وكان الكهنة يزيلون عن أجسامهم كل يوم الأدران والشعر ، ويغتسلون بالماء البارد مرتين فى كل أربعة وعشرين ساعة ، وكانوا دائماً يحرّضون الشعب على الاقتداء بهم فى ذلك ، خصوصاً الذين تدعوهم شئوونهم المعاشية للتلوث بالأتربة ونحوها ، وكانوا يحتّمون على أنفسهم الاغتسال قبل الدخول إلى الأماكن المقدسة ، وأماكن العبادات وكذلك بعد مباضعة النساء .

وكان المصريون القدماء يفضلون المعيشة فى الخلاء بقدر الإمكان ، حيث المنازل الفسيحة التى تكثر بها البساتين ، ويبنون فى أعالى دورهم أماكن تساعد على الانتفاع بطلاقة الجو ونقاوة الهواء ، ويلبسون فى أوقات الاستراحة من أعمالهم الملابس البيضاء كرياضة جسدية لأجسامهم .

وكانوا على جانب من المحبة للأعمال الرياضية بأنواعها بما فيها الصيد والقنص يقول (شامبليون) : « إنه وجد فى مقابر بنى حسن رسوم للأسرة الحادية عشرة أى منذ حوالى (٢٠٠٠ سنة ق . م) تدل على أن المصارعة كانت معروفة عندهم واشتهروا بالبراعة فيها ، وكانوا يعتنون بغسل الأيدى قبل الطعام وبعده ، وغسل كافة الأوانى والأدوات المنزلية المخصصة للطبخ وغيره ،

وكانوا يتعمدون عدم التكلف والتأنق فى الأغذية ، وكثيراً ما كانوا يقصرون طعامهم فى أغلب الأوقات على الخبز والكعك والخضروات والثمار والأسماك والطيور ، ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير لخبث تغذيته ، وكذلك أكل لحم الكركى والتمساح وجاموس البحر ، وكانوا يصومون أياماً عديدة فى السنة ، وكان الصيام يسبق عيد المعبود (إيزيس) ولا يتعاطى الكهنة شيئاً من الخمور ، ولا يأكلون الفول والبصل ، لأنهما يساعدان على زيادة التبخر المعدىّ وتوليد الغازات ، وعن السمك أيضاً لأن لحمه منبه للدم وهم بحسب مهنتهم يطلب منهم أن لا تثور حواسهم بما يمنعهم عن التفرغ لآدائها بخشوع واستكانة .

وكانت لهم عناية عامة بالأحوال الصحية ، حتمها عليهم تضلعهم فى الفنون الطبية ، ورأوا من مقتضياتها اتخاذ كل ما يمكن لتوقى الأسباب المؤدية لأى خطر صحى على الأجسام ، سواء بإصابات مرضية أصلية أو بعوارض العدوى ونحوها .

وكانوا يرون أن العناية بمياه الشرب فى مقدمة الاحتياطات الواجبة ، وكانوا يفضلون الماء القراح على كل الأشربة ، ويعمدون إلى تطهيره بواسطة غليانه على النار ، حتى يبلغ أشد درجات الحرارة ، ثم يجعلونه فى الآنية المناسبة لاكتساب البرودة حتى يكون صالحاً للشرب ، ويبالغون فى هذه الاحتياطات توقياً من الأمراض الباطنية ، وعند ظهور نوع من الأمراض الخطرة ذات الانتشار والعدوى .

وعنهم أخذ الملوك هذه القواعد الصحية ، يدل على ذلك أنه فى سنة (٥٥٠ ق . م) ، عندما عزم الملك (قورش) على القتال أخذ معه كميات من الماء فى أوانٍ فضية ، ثم تقررت هذه القاعدة فى كل تحركات الملوك حالة ابتعادهم عن عاصمة مملكتهم .

ويقول (هيرودوت) المؤرخ الإغريقى : « إن هذه العادة قررها الملك المذكور «قورش» فى نظامات هيئته الملكية وتنقلات الجيوش ونحوها ، امتثالًا لنصائح اثنين من أطبائه الثقاة اللذين تلقيا علومهما الطبية على أيدى أساتذة من الأطباء المصريين» .

وكان الفراعنة على جانب عظيم من الرأفة بالرعايا مهما بلغت بهم الظروف فى بعض الأحوال لاستعمال القسوة والشدة ، ومما يؤثر فى هذا المعنى أن الملك خوفو منشئ الهرم الأكبر الذى استمر بناؤه نحو ثلاثين عاماً وكان عماله ١٠٠٫٠٠٠ ، فإنه استمع إلى نصائح أطبائه لمنع انتشار الأمراض والعدوى بين العمال ، لهذا أمر بأن تعدّ لهم الملابس ، وكان يأمرهم بالاغتسال يومياً فى الأوقات المعدة للراحة من العمل ، ويجعلون لهم أماكن خاصة بعيدة عن محل اشتغالهم لتأدية كل احتياجاتهم على أبعاد متفاوتة ، حرصاً على نقاوة الهواء ، وعلى سلامة أبدانهم من مضار التلوث بالمواد القذرة ونحوها .

وكان الأطباء يرتبون لهم محاجر صحية ، ويجعلون فيها من يتقرر عزلهم عن باقى الأصحاء فى أمكنة خاصة على صخرة مرتفعة . وفى كل عام كانوا يحرقون مساكنهم ويجددون غيرها حتى لا تصيبهم (مسببات) الأمراض التى تكون كامنة بين بنائها .

أما موضوع التحنيط فسنعرض له فصلاً كاملاً لأهميته .

وبعد فلقد كان للطب المكانة الأولى عند قدماء المصريين قبل (أبقراط) الذى يلقبونه (أبو الطب) ومما لا شك فيه أن الطب عند قدماء المصريين يرجع تاريخه إلى ٦٠٠٠ سنة ، فمصر بهذا المعنى جديرة بأن نلقبها (معلمة الجنس البشرى) ، وآثار قدمائها تذكرنا بما كانت عليه مدنيتهم من التفوق والإبداع ، خصوصاً وأن أغلب هذه الآثار الشاهقة والمعابد والهياكل يرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة .

ولا يفوتنا أن نذكر من قواعدهم الصحية لحفظ الأجسام ودفع العاهات عنها ما ورد نصه فى بردية برلين الطبية : « إن كل فرد فى الوجود مكلف بحفظ كيان ذاته باتخاذ ما ذُكر بعناية ونظام ودقة أضعاف ما يطلبه مالك الأرض لحسن نباتها ، وخصوبة أرضها ، ووقايتها من سائر الآفات الجوية وغيرها » .

نعم لقد كان بمصر علماء أفاضل يبذلون كل مجهود فى الرقىّ الإنسانى وزخارف الحياة التى بها قضوا حياتهم العزيزة فاستطاعوا إسعاد مجتمعهم الإنسانى وتخفيف ويلات الأمراض عنه ، والتى كان فتكها بالأمم الأخرى فوق ما تتصوره الأفهام .

وقياماً بالواجب أمام العدالة والتاريخ ، جعلوا فى أنظمتهم القانونية ما يُسمى (بالطب الشرعى) فهو ليس من ابتكارات العصر الحاضر ، بل هو مما سبقت إليه مدنية قدماء المصريين فى عصورهم الغابرة .

وكان الطب الشرعى ينحصر عندهم فى الكشف أولاً على الوفيات ، أى توقيع الكشف على الموتى بمعرفة أطباء يعينون لهذه المهنة ، والتأكد من أسباب الوفاة ، فإن كانت طبيعية أو بأمراض أو عارضة الحوادث ليس فيها إجرام أمكنهم التصريح بالدفن ، وإلا عرضوا الأمر للسلطة القضائية لفحص الوقائع ، وتتخذ نحوها التحريات لحصر الشبهة فيمن تقع عليه مسئوليتها ، فيجرى على الجثة الكشف الطبى ثانياً .

وكان يُشترط فيمن يؤدى وظيفة الطبيب الشرعى فى كل مركز أن تتوفر فيه سعة الكفاءة والخبرة التامة ، والأمانة النفسية والحرص على العدالة والاشتهار بالاستقامة والنزاهة ، ليكون قرارهم فى المسائل الجنائية مطابقاً للواقع ، وتبنى عليه الهيئة القضائية أسانيد عادلة تكفى لتوقيع العقاب المناسب .

وكان من عاداتهم إذا وجدت فى ظروف الجنايات نساء حوامل أن لا يتسرع القضاء فى تنفيذ العقاب ، بل يؤجله حتى تضع الحبلى جنينها لكى لا يتأثر وهو فى ظروف التكوين بما قد ينتج من تنفيذ العقوبة على الأمهات ، فينشأ الجنين طفلاً محوطاً بالضعف والانحطاط البدنى وهو لا دخل له فى الجريمة التى عوقبت عليها الأم .

وكانوا يخصصون للتحريات فى أمثال هذه الظروف بعض الكهنة الموثوق بأمانتهم من الوجهة الطبية والدينية ليس إلا ، ويخصصون لها أيضاً بعض القوابل بمعنى أن هذه الطوائف كانت الدوائر القضائية تأخذ بإرشاداتها وأقوالها فى كشف الحقائق طلباً للإنصاف والعدل الذى هو الضالة المنشودة للجميع ، فتستعين الهيئات الحكومية بمن تنتقيهم أعواناً لها فى تنفيذ مقتضياته .




# الطب المصرى القديم وفن التحنيط

## * رأى للمناقشة :

يرى الأستاذ الدكتور (بول غليونجى) أن عملية التحنيط كانت دينية خارجة عن إطار عمل الأطباء ، ولذلك ترك الحديث عنها فى معرض حديثه عن الطب عند قدماء المصريين ، ومع تقديرنا الكامل لرأى العالم الكبير ، وشغفه بالمصريات ، إلا أن لنا رأياً آخر ؛ نرى أن هذه العملية ، وإن كانت مما تدعو إليه طقوسهم الدينية إلا أننا نعتبرها (عملية طبية) من جميع الوجوه ، ونضرب لذلك مثلًا من واقع عصرنا الحديث: إن عملية الختان ـ وهى عملية جراحية ـ هى مما تدعوا إليه تعاليم الديانتين الإسلامية واليهودية ، ولم يقل أحد من المسلمين أو اليهود إنها دينية خارجة عن إطار عمل الأطباء ، مع الفارق الكبير بين الختان ، وهو عملية جراحية بسيطة ، وبين فن (عملية) التحنيط وهى علمية كبيرة ، كانت تتطلب ممن يقومون على العمل بها أن يكونوا على علم تام بالعلوم الطبية كالتشريح والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) ، والجراحة وعلم العقاقير ، بالإضافة إلى علم الكهنوت والسحر . ولهذا لا نرى بدعاً أن القائمين على هذه العملية كانوا من كبار كهنة الأطباء ، وذلك لأن بعض الأطباء ـ فى ذلك الوقت ـ كانوا من الكهنة ، وقد ناقشنا ذلك تفصيلاً فيما سبق .

## * التشريح وفن التحنيط :

مما أورده المؤرخ المصرى القديم الشهير «مانيتون» وأيده «بلين» و «أولى جيل» : «إن ملوك الأسرة الأولى وجهوا عنايتهم إلى عمليات التشريح ، وطرق استعمالها ، والإمعان والتفنن فيها رغبة فى الاستكشافات الطبية الدقيقة ، وترويجاً لقواعد التحنيط وغرس احترامه فى النفوس منعاً للاستمرار فى مقاومة وإيذاء المشتغلين به» .

ويستدل بذلك على الارتباط الوثيق بين عملية التحنيط وعلم التشريح ، وأن فتح الجثث المحنطة لم يكن مما يُعد جرأة على الإنسانية أو جريمة يُعاقب عليها فاعلوها ، لكنها وسيلة للوجهة العلمية من جهة ، وقياماً بواجب التعظيم لمن يكون تحنيط أجسامهم على سبيل التكريم ، وحُسن الذكرى من جهة أخرى ؛ وتشير الموميات (الجثث المحنطة) الكثيرة إلى أن عمليات التحنيط قد تمت فى عهود مضى عليها أكثر من ٥٠٠٠ سنة .

## * علم الفسيولوچيا (وظائف الأعضاء) وفن التحنيط :

استدلوا ببعض البحوث المسطورة فى «بردية برلين» الطبية على فصول خاصة بوظيفة القلب بين الأعضاء ، وأنه المسيطر فى صرف الدم إلى الشرايين ، ومنها عرفوا أن فى الدم نسمة خفية تنبعث عنها حياة الأجسام وتوليد الهواء فى الرئتين ويتنشقه القلب بالتنفس ، ومنه تتوزع تدريجياً للشرايين ممتزجة بكرات الدم ولباقى الأعضاء . فكأن هذه التسمية التى ذكرها قدماء المصريين فى مؤلفاتهم هى ما سماه الطب الحديث «بالأكسجين» .

وتوصّل أيضاً قدماء المصريين إلى تقدير مرور الدورة الدموية بالثوانى فى الشرايين والأوردة ، وترجم من بردية «إيبرس» الطبية ما يؤيد نبوغهم فى هذا البحث الجليل وما اتخذوه بناء عليه فى تقاريرهم العلمية للتوقى من العدوى ، لأن أوعية الجسم باستعدادها تُسرع فى تلقى الدود (الجراثيم) [1] وفى انتشاره إن لم تُستدرك فى أول الأمر بالمقاومات المانعة لأخطارها . ولا شك فى أن هذه الملاحظة لعبت دوراً هاماً فى تكوين فكرة المصريين عن المرض . فإن الجثث فى نظرهم كانت تحيا عندما يعود إليها (با) أى الروح . ومن ثم ضرورة الاحتفاظ بكيانها وبشكلها الخارجى حتى يتعرف عليها الـ (با) عند عودته . ومن ثم فقد اتجهوا لفن التحنيط .

---

(١) لم يعرف علم الميكروبات الحالى إلا فى العصر الحديث .

ولا يفوتنا أن نذكر أيضاً أن «بردية ابرس» قد وردت فيها بيانات وافية تثبت أن الكبد هو معمل الصفراء ، وأن عوارضها تُشاهد عند البحث فى تحليل البراز وترشد إلى تحديد المرض بكونه ناشئاً عن الصفراء أو عن عوارض فى الكبد .

## * الجراحة وفن التحنيط :

قلنا: إن فن التحنيط الذى امتاز به قدماء المصريين ، وأعجزوا ببراعتهم فيه جميع الأمم ؛ من مستلزماته الأولية علوم طبية شتى ، حيث يتوقف على النبوغ فيه ، إتقانهم لها ، كالتشريح والجراحة وعلم العقاقير ، وما يتبع هذه الفنون الثلاثة بمنزلة الوسائل الأولية له .

وعدم اشتمال بعض الأوراق البردية الطبية على علم الجراحة لا يؤخذ دليلا على عدم انتشاره فى عهدهم ، فكثيراً ما عثر علماء الآثار على آلات جراحية بديعة فى اكتشافات متعددة ، منها ما وجده المكتشف «كومرى» فى مقابر طيبة، ويرجع تاريخها إلى العصر المعدنى أى سنة ١٥٠٠ ق . م . وقد عثر علماء الآثار فى بعض المقابر آلات جراحية كثيرة مما كان يُستعمل فى عملية التحنيط .

ووجد فى مقبرة بنى حسن (بالمنيا) رسم له نحو ثلاثة آلاف سنة يمثل طبيباً متربعا يباشر عملية جراحية فى رأسه .

وقال «أرمند روفر» : « إن قدماء المصريين كانت لهم خبرة تامة بالفنون الطبية والجراحية وجميع مستلزماتها ، وتوصلوا بذكائهم إلى صناعة ثقب عظام الرأس للأحياء ، واتخاذ ما تدعو الأحوال العلاجية بكل تحفظ واحتياط فى شأنها ، ولا شك أن ثقب هذه الجماجم يستدعى مهارة أكثر مما يستلزمه ثقب اللآلئ الثمينة التى تُحلى بها نفائس العقود للحسان وتيجان الملوك» .

## * القوانين الصحية وفن التحنيط :

تحنيط الجثث عند قدماء المصريين ، كان الباعث إليه فى بادئ الأمر هو الاعتناء بالاحتياجات الصحية العامة ، وحفاظا على هذه الجثث من التعفن ؛ كانوا يكتفون فى بادئ الأمر بتجفيف الجثث بواسطة دفنها فى مناطق رملية تكفى لامتصاص السوائل ، وارتقوا بعد أجيال إلى جعل التحنيط عملية إجبارية فى بعض الظروف ليحفظوا البلاد من تلويث الهواء ، بما ينتشر عقب فساد الأجسام فى أماكن الدفن الغير صحى ، وبهذا نتأكد أن مصر استمرت معظم أجيالها فى الاكتشافات العلمية النافعة ، وفى الترقى لوقاية الإنسان بكل ما تصل إليه الاستطاعة فى العناية بالفنون الطبية .

يقول «لوكاس» فى كتابه عن التحنيط : « إن البداية التاريخية لهذا العلم مجهولة ، وربما كانت ترجع إلى سنة ٢٧٠٠ ق . م» .

كما تدل عليه الجثة المحنطة (المومياء) المحفوظة الآن بكلية الطب الملكية فى (لندرة) والتى يعود تاريخها إلى الأسرة الخامسة من الدولة القديمة . ونقرأ أيضاً فى سفر التكوين ، الفصل الخمسين فى الأعداد من [٢ إلى ٢٦] أن جثتى يعقوب ويوسف ـ عليهما السلام ـ حنطتا بمصر .

وقد عثروا أيضاً على جثث مجففة طبيعياً يرجع تاريخها إلى ٣٣٠٠ سنة . ومن الباحثين من قال : إن التحنيط يرجع عهده إلى ٦٠٠٠ سنة تقريباً .

وذكر «لوكاس» فى كتابه المذكور نتائج تحليلاته الخاصة بالنطرون الذى وصفه قدماء المصريين واستعملوه للتحنيط ، ومما يلاحظ فى هذا البحث قوله :

« يحتوى هذا الملح الصناعى المركب على كربونات الصوديوم ، وبيكربونات الصوديوم وكلوريد الصوديوم وسلفات الصوديوم والماء ومسحوقات أجزاء أخرى لا تقبل الإذابة بالماء ، وتختلف نسبتها فى التركيب بدرجة العناية التى يرام تحنيط الجثة بها

واختلفت آراء العلماء فى طريقة استعمال النطرون وفائدته . وقد أكد «لرتيت» و «جاليارد» أن قدماء المصريين كانوا يغمسون الأجسام والنسيج التى تعمل منها لفائف الأجسام فى حمامات النطرون الصمغى السائل منعاً للتعفن، وبعض أولئك العلماء الباحثين يوافق على انغماس الأجسام فى محلول النطرون كرأى «لرتيت وجاليارد» ولكنه يخالفهما فى انغماس اللفائف والملابس بهذا المحلول ويؤيد نظريته بما يأتى :

١ـ أن ثيابا كثيرة حُفظت زمناً طويلاً ولا يمكنها أن تتحمل قلوة النطرون.

٢ـ أنه لو كان كذلك لكانت حموضة الأنسجة أحدثت تغييرات قلوية .

وذكر العالم الأثرى «ما سبيرو» فى كتابه «الأعمال الخاصة باللغتين المصرية القديمة والآشورية وآثارهما» قوله : « إن التركيب المجهز من الميعة السائلة مطابق للنصوص المنقوشة على جدران معبد إدفو وأوضح بعد فحصه وتحليلاته لكل خاصياته الأثرية أنه مركب مما يأتى :

| جــــزء | جــــرام |
| --- | --- |
| ٥٧٥ر | من عصير الخروب |
| ١ر | ١ بخور يابس من النوع الجيد |
| | ٦٠٠ قشرة الميعة (styrax) من النوع الجيد |
| | ٢٥ قلم عطرى |
| | ١٠ الاسفلت |
| | ١٠ المصطلى |
| | ٢٥ حبوب البنفسج |
| ٥ر | النبيذ |
| | الماء |

وقال «ماسبيروا» بعد أن درس التراكيب المستعلمه فى التحنيط : « إن أعظم العقاقير المستعملة فى تحنيط الموتى مركبة من الأسفلت وقار بلاد يهوذا ، وكانوا يملؤون به جثة الإنسان أو الحيوان المحنط وعبّر عنه علماء الآثار السابقون عن عصره بأنه صمغ الصنوبر ، وكان هذا الأسفلت يحضرونه من البلاد اليهودية وبابل كما ذكره « ديودور الصقلى وسترابون وديسقوريدس وهيرودوت » .

وكانت تجارة الصنوبر رائجة فى تلك الأزمان ، فيرسله التجار من بلاد الشام إلى مصر بواسطة القوافل لاستعماله فى التحنيط ، ثم شاع استعمال أنواع منه فى اصطناع السفن النيلية .

## أنــواع الــتحنــيـط

وصف «هيـرودوت» كيـفيـة عـمـــل التـحنيـط وأنواعـه عـند قـدمـاء المصـريين (٤٥٠ ق.م) وهى ثلاثة أنواع :

### * النوع الأول :

يبدأ المحنطون عملهم بكسر المصفاة وجزء من العظم الوتدى ؛ ويستخرجون المخ من الأنف باستعمال آلة حديدية معوجة ، ويملؤون الجزء المجوف (مكان المخ) بالطيب وصمغ الصنوبر ، ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجراً من المعدن ومقراضاً صغيراً .

ويبدأون تحنيط الجثة بوضعها على مائدة خشبية مستطيلة ؛ ويضع المحنط على الجانب الأيسر ماء يقدره بنسبة حالة الجثة ممزوجاً بما يستدعيه العمل ، ويبدأ فى شقها من بداية الجنب إلى نهايته بقطعة حادة من الحجر الذى كانوا يسمونه قديماً (حجر اثيوبيا) وعرفه علماء طبقات الأرض باسم (حصاة اثيوبيا) .

ومتى أتم المحنط عملية الشق انتقل من مكانه مسرعاً ، ويتبعه الحاضرون ويرجمونه بالحجارة ويلعنونه ، ثم يستخرجون الأحشاء بعدئذ وكل الأجزاء اللينة، ويبقون القلب والكلى فى مكانها ، ويغسلون الجوف بنبيذ البلح الممزوج بكمية من المرّ والخيار الشنبر والطيب والأسفلت ؛ ثم يخيطون الجلد ثانية ويغسلون الجثة ، ويضعون فوقها كميات من الأملاح ، ويغطونها بمسحوق النطرون مدة سبعين يوماً ، وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت خشب الأرز والعطر ، ويضعونها فى لفائف مصمغة بالصمغ العربى ، ويدهنون غطاء الوجه ويرسمون فوقه صورته . وكانوا يعتنون بأن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هيروغليفية بغاية الإبداع والاتقان . ثم يأتى أقارب المتوفى ،



رسم جثة محنطة داخل نعشها وبقربها النساء تبكين وتندبن، والرجال يضربون آلات شبيهة بالعود وأمامهم الراقصات

وينقلون الجثة فى صندوق خشبى مصنوع على شكل آدمى ؛ ويوضع فى جانب قاعة مخصصة لهذا الغرض . وهذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التى يقصدون منها المغالاة والزينة متى كانت الجثة جثة أحد العظماء والمشاهير الذين يرام بمظاهر تحنيطهم وفخامته الإيماء إلى ما كان له من علو المنزلة وعظم الشأن بين قومه .

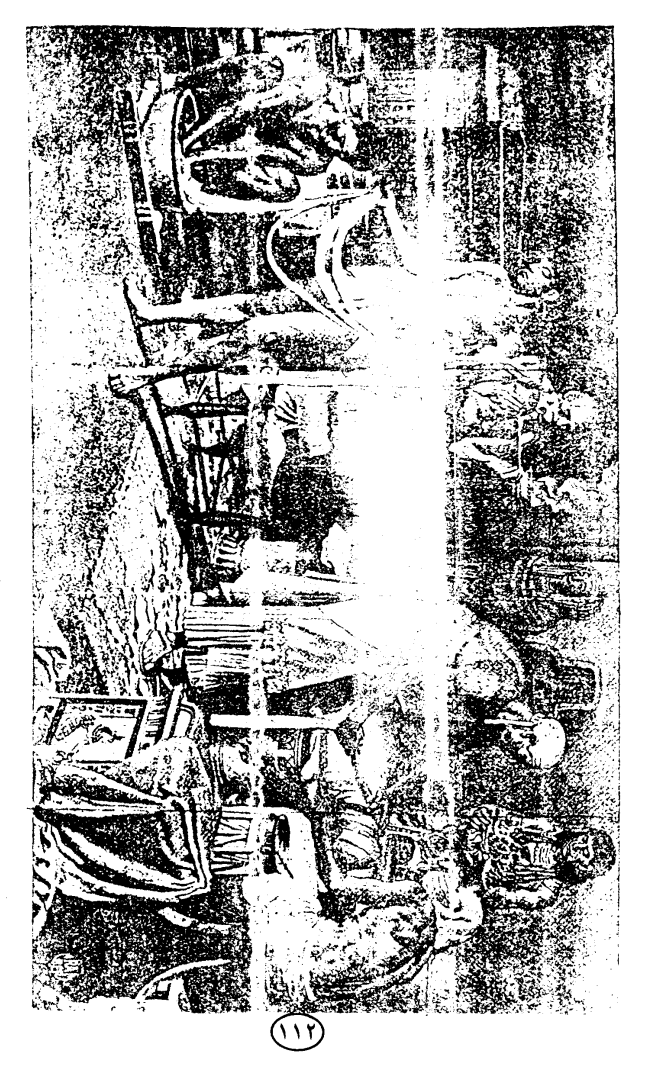
*** النوع الثانى :**

ليس كل الناس يرغبون التغالى فى أعمال التحنيط على الوجه الذى سبقت الإشارة إليه ، بل كان أوساط الطبقات ومن فى حكمهم لا يميلون إلى الأحزان والبذخ ، يكتفيون فى عملية التحنيط بما يقى الجثة من التلف ، فيكتفون بحقنها بكميات من الدهن السائل المستخرج من خشب الأرز ، وتستعمل غالبا فى بطن الميت بدون شق الجسم وبدون إخراج شىء من الحوايا والأمعاء ، ويسدون منفذ الحقن منعاً لسقوط السائل ، ثم يضعون الجثة مدة سبعين يوما فى محلول قلوى .

وبمضىّ هذه المدة يستخرجون الجثة منه ويخرجون منها السائل الذى يجتذب معه الأحشاء الذائبة ، ويجففون العظام بمسحوق النطرون . وفى هذه الحالة لا يكون باقيا من الجثة سوى العضلات والعظام والجلد ، وبإتمام تجهيزها على هذه الطريقة توضع فى لفائف معقمة ويبقى جزء الوجه ، فيدهنونه بلون أحمر وتسلم بعد ذلك إلى أسرة المتوفى لدفنها بالمكان المعد لأمثالهم .

*** النوع الثالث :**

هو تحنيط الفقراء الذين لا يستطيعون كثرة النفقات ، وهو ينحصر فى إيداع الجثة مدة سبعين يوماً فى محلول قلوى من النطرون ؛ وتستخرج منه بعد ذلك وتجعل فى لفائف بسيطة وتسلم لأهلها لدفنها .



طريقة التحنيط عند قدماء المصريين

ويوجد هناك نوع رابع للتحنيط أقل درجة من الثلاثة أنواع السابق ذكرها ، لم يتكلم عنه «هيرودوت» وإنما كان مستعملا عند قدماء المصريين بواسطة جعل جثث الفقراء فى لفائف ممزوجة بمركبات تقيها من التعفن والتلف زمناً محدوداً ، ثم تدفن فى مكان رملى على عمق متر تقريباً ، ووجدت جثث محنطة على هذه الحالة .

وكانوا يجعلون الاحتفال بتشييع الجنائز للفقراء والأواسط على جانب من البساطة ، أما الأغنياء فيقيمون لها الاحتفالات الفخمة ، ويرسمون لجنائزهم مظاهر دالة على ما كان معتاداً فى أزمانهم من أنواع الحفاوة كالراقصات والنادبات والباكيات تذكرن أعمال موتاهم ومناقبهم المشرّفة لسيرتهم وأوصافهم الحميدة ، ماشيات أمام العربات الجنائزية التى تجرها الثيران ، ويتبع هذه المواكب الأقارب والأصدقاء ، وينزلون أخيراً التابوت المهيئ فى كهف على شكل مدفنة تكون أحيانا فى سقف المصطبة الموصلة إلى المدفن الجنازى المحفور فى الصحراء ، وتوضع الجثة فى التابوت المخصص لها ، وعند الدفن يذبحون ثوراً رباعياً سميناً ، ويسدون فتحة الدهليز ويلقون الحجارة الضخمة وغيرها بجانبه ، ثم يقيمون الزخارف حوله كأثر تاريخى يتعظ برؤيته المترددون على هذه الأماكن فى الأيام المجعولة لزيارتها .

ولكون المقابر غالبا تنشأ فى الجهة الغربية ، فلدى نقل الموتى إليها من أماكنهم بالجهات الشرقية ؛ كانوا ينقلون الجثث فى سفن مزينة محلاة بأنواع الزخارف والنباتات ويحيط بها عدد كبير من القوارب المملوءة بالقرابين والزهور والرياحين .

**وبعـــد . . .**

**هل عرفنا كل أسرار فن التحنيط عند قدماء المصريين ؟**

لقد كتب «هيرودوت وديودور الصقلى» بعض معلومات عن التحنيط ، ولكن لم يصل إلينا منها إلا النذر اليسير ، لأن الكهنة وحدهم (وهم من الأطباء) ، كانوا يحتكرون لأنفسهم معرفة أسرار التحنيط الذى به تحفظ الجثث ، ولم يبوحوا لأحد بتركيب الأجزاء والمواد التى كانوا يستعملونها لهذا الغرض .

وغاية ما أمكن معرفته من أنواعها : المرُّ والخيار الشنبر وغيرها من العقاقير الحافظة بمزيجها لكثير من الأجسام ، ولكن كميات التركيب فى المزيج لها بالمواد الأخرى لم يستطع المكتشفون معرفتها على وجه التحديد ؛ خصوصاً المركبات الصمغية وتمييزها عن غيرها من المركبات والمواد الدهنية الكثيرة الاستعمال .



رأس مومياء رمسيس الثانى

نعم ، بفضل الطرق الحديثة للتحاليل الكيميائية فى العصر الحديث ؛ استطاع الباحثون الوقوف على شيء من هذه المواد .

أما امتناع الكهنة عن تلقين غيرهم أسرار فن التحنيط ، فهو ناشيء عن بخلهم بالعلوم وأسرارها على غير أهلها ، وحرصا منهم على استئثارهم بالأرباح الوافرة والأموال الطائلة التى كانوا يحصلون عليها بواسطة احتكارهم لهذه الأعمال ، حتى أن بعض الأسرار الفنية التى كانت فى معبد الإله «آمون» لم يكن يعلمها فى عهدهم إلا أفراد قلائل من مشاهير علمائهم فى ذلك الوقت.

فإذا استطاع الباحثون معرفة شيء عن تاريخ التحنيط ـ بعد أربعة آلاف سنة ـ فهم لم يصلوا بعد إلى معرفة الحقيقة عن التراكيب التى حفظت هذه الجثث تلك السنين ، فكأن علوم فن التحنيط زالت بزوال أربابها الذين ضنوا بها على بنى الإنسان ! ولم تعطّفهم الرحمة العلمية على أسلافهم بتدوين هذه المعلومات لتكون لهم أثراً مجيداً عوضاً من تألم الأجيال بزوالها بعد عصورهم الزاهرة .

## لماذا لجأ قدماء المصريين إلى التحنيط ؟

قال كاسبان : « إن قدماء المصريين لجأوا إلى التحنيط لأنهم فى أشهر فيضان النيل لم يكونوا يستطيعون نقل الجثث إلى الجهات المعدة للدفن ، فاتبعوا طريقة التحنيط لحفظ الجثث من التعفن ، وبعد مضى أشهر الفيضان ينقلونها إلى مقابرهم ؛ وفى هذا منتهى العناية لحفظ الجثث من التعفن ، والاحتياط فى وقاية صحة الأحياء » .

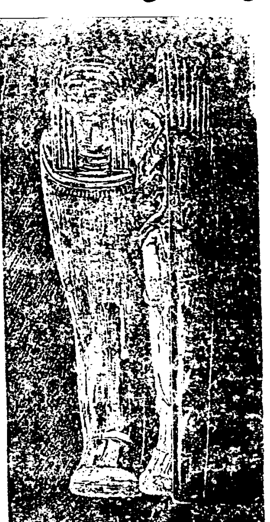
وقال هيرودوت : « إن الاعتياد على التحنيط منشؤه الاحتياط فى حفظ الجثث أن تنهشها الوحوش » .

وقال ديودور الصقلى : « إن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط فى جملة الشعائر الدينية احتراماً لموتاهم » .



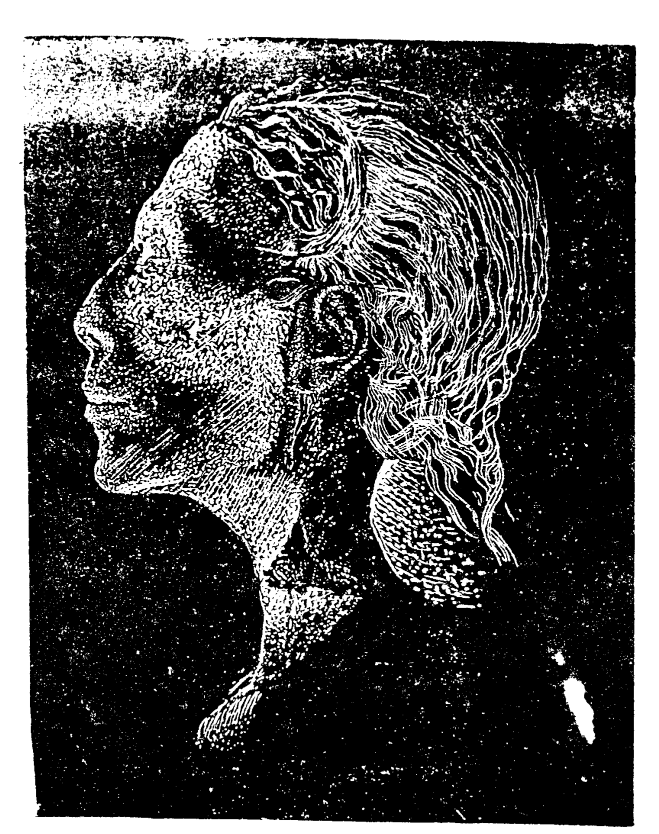
مومياء الملك رمسيس الثالث
«الأسرة ٢٠»
والجثة محفوظة بالمتحف المصرى

وقال دى مابيه : « إن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط بمقتضى عقائد دينية، وبمقتضى اعتقاد الأقدمين منهم بأنه بعد مضى ثلاثة أو أربعة آلاف سنة ، ستقوم ثورة عارمة فى العالم ، تعود بعدها الأرواح إلى أجسادها للحياة الثانية فى الأبدية الآخرة ، فأرادوا بالتحنيط حفظ هيكل الإنسان ليكون صالحاً إلى عودة الروح فيه كما كان فى نشأته الأولى » .



تابوت فيه جثة الملك أحمس الأول

وقال فولنى وباريسو (Volney et Parisot) : « إن من البواعث على التحنيط الاحتياط لمنع انتشار الأمراض المعدية والطاعون ، التى تنشأ غالبا من تعفن الجثث ، فتنتقل فى تموجات الهواء الفاسد ، وتسرى جراثيمها إلى الأصحاء ، فتضر بالمجتمع الإنسانى من حيث لا يشعر » .



**( رأس مومياء تحوتمس الرابع )**

من الأسرة ١٨ طول جثته متر س اكتشفها<br>١ ٦٠

المسيولوريه سنة ١٨٩٨ فى مقبرة أمنوفيس الثانى

وقدر أنه مات وعمره ٢٥ عاما (المتحف المصرى)



كاهن محنط ارتدى قناعاً على شكل أنوبيس إلهة الموتى والتحنيط

والأقرب إلى التعويل عليه من كل هذه الآراء ؛ ويطمئن إليه العقل ، هو أن التحنيط من لوازم العقائد الدينية التى فى سبيلها ألفوا هذه المشاق ، وتكبدوا أخطارها بارتياح قلبى وانبعاث دائم ، فتعمق الكهنة فى مباحثهم حتى توصلوا إلى إحكام أعمالهم واتقانها وساعدهم جفاف الجو ويبوسة الأرض والرمال فى تجفيف الجثث المعرضة للهواء التى لم يستطع ذووها دفناه فى الهياكل الشامخة والمبانى الضخمة .

ونحن نشاهد ـ بكل فخر ـ أن كل من يقصد السياحة ورؤية الآثار المصرية القديمة ، تتملكه الدهشة ، ويقف متأملا طويلا عندما يرى جثثاً بشرية وحيوانية (مومياء) حفظها التحنيط على حالة جيدة بعد دفنها فى الرمال بعد أن مر عليها الاف السنين .

وكأن الكهنة أرادوا تهيئة الأرواح عند عودتها إلى الأشباح فى دور الحياة الثانية بما اخترعو من أنواع الزينة والزخارف فوق التوابيت والمقابر ، حتى إذا آن الوقت واقتربت الأرواح من معالم الجثث تسرُّ بمرأى هذه الزخارف ، فتعود إلى الأجسام ممتلئة سروراً ، ويزيد فى انشراحها أن ترى تلك الجثث على ما كان لها من بهاء الرونق وجلال العظمة .

وقد استعمل قدماء المصريين احتياطاً فى بقاء التحنيط سليماً لا يعتريه التلاشى ولا الانحلال بالطريقتين اللتين دلت عليهما الاكتشافات العلمية :

١ـ تجفيف الجثة بعد إفراز السوائل وإخراج المواد الدهنية بواسطة مركبات النطرون ومسحوقه والمحلولات المعتادة لانغماسها فيها على سبيل التطهير قبل التحنيط وبعده .

٢ـ وضع الجثة فى لفائف ممزوجة بالمواد العطرية ، لتكوّن حرزاً صناعياً بتماسكها يمنع وصول الهواء والحشرات ، وهم بهذا الإبداع توصلوا منذ ستة آلاف سنة إلى طرق علمية تؤيدها كل الاحتياطات الصحية فى نظريات العالم الحديث ، وإن عجزت مداركنا عن الإحاطة الكلية بباقى معلوماتهم فى فن التحنيط .




# طب الفراعنة وأثره في الطب اليوناني

## أواصر العلاقة بين الطب المصرى القديم والطب اليونانى

تبلغ الأواصر التى ربطت بين مصر واليونان من القدم والمتانة ، ما جعل الأساطير تروى عنها المعجب والمطرب منذ العهود التى سبقت التاريخ المدون .

ولم يقتصر التبادل بين مصر واليونان على السلع والعلوم والفنون ، بل تعداه إلى تبادل الهجرة ، فعمّر (داناوس) المصرى شبه جزيرة (البلوبونيز) كما استوطن الإغريق شمال الدلتا ، وتحالف الشعبان واشتركا فى الحروب ، ومن ذلك أن شعوب البحار ، وهم سكان (كريت) خفت لنجدة أحمس عندما حرر بلاده من الهكسوس ، وقد استمرت تلك العلاقات ودية وطيدة الأركان دون انقطاع أو فتور طوال الأربعين قرناً التى سجلها تاريخهما .

وهذا الأمر لا يدع مجالاً للشك فى أن علوم الطب قد تبودلت بينهما ، ومما يعزز هذا الرأى تقدير الإغريق للطب المصرى .

قال «هوميروس» فى الأوديسة : « إن هيلانة ابنة الإله القدير «زوس» تكتنز هذا البلسم الشافى ، فقد جاءها من (بوليدامنا) زوجة «ثونيس» المصرى ، لأن مصر الخصيبة غنية بنباتات بعضها مفيد والبعض الآخر ضار . وكل إنسان فى مصر يلم بفن العلاج ، إذ إن المصريين من سلالة (بيون) طبيب الآلهة . وفى العصور التالية نجد (أنا خارسيس) يخاطب مواطنيه الإغريق ، ويؤنبهم على تفضيلهم الأطباء المصريين على أطبائهم .

### * طب الفراعنة وأثره فى الطب اليونانى :

كان للطب المصرى القديم أثر وفضل على الطب اليونانى ، فى شتى فروع الطب ، وسوف نعرض بالبحث والمقارنة بين الطبين من بعض نواحيهما ، وهى

فن العقاقير ، وأسماء وأجزاء الجسم ، والأوصاف الإكلينيكية ، وتسمية الأمراض ، والطرائق الجراحية ، واختبارات الحمل والولادة ، وأسلوب الكتابة ، والآراء الطبية لنتبين جلياً أثر الطب المصرى القديم فى الطب اليونانى .

*** العقاقير :**

لست أستند إلى العقاقير الاعتيادية التى استعملها الشعبان ، لأن مثل هذا التشابه فى الاستعمال قد يكون نتيجة طبيعية لتشابه المجموعة النباتية فى هذه الناحية من حوض البحر المتوسط ، وإنما تصح المقارنة إذا تجاوز التشابه احتمالات المصادفات ، إما لغرابة الدواء ، وإما لتشابه الاسم فى اللغتين .

أقول ـ بادئ ذى بدء ـ إن «ديوسقوريدس» صاحب (الأقرابازين) الذى ظل أساساً لعلم العقاقير حتى عهد قريب . رد ٢٠٪ مما ذكره إلى المصريين ، وسرد أسماء تلك العقاقير فى اللغتين .

ولنضرب مثلاً لعقاقير غريبة وردت فى الطبين ، فإن (بردية إيبرس) مالتفتاً توصى باستعمال الصفرة لعلاج العينين . وقد قدم (دوسن) حججاً قوية على أنهم إنما قصدوا صفرة الخنزير . وقد أوصى (ديوسقوريدس) باستعمال المادة نفسها فى بعض الأمراض ، وعزا (بلينوس) تلك الوصفة إلى (ميليتوس) ، لكن (دوسن) يرجح أنها استمدت من بردية مصرية . وتلك الوصفة شبيهة للعلاج الذى أعاد البصر إلى (طوبيا) حسب رواية التوراة .

والوصفة الثانية من تلك الوصفات الغريبة هى استعمال لبن المرأة التى أنجبت طفلاً ذكراً ، وهذا العلاج يتكرر فى أقربازين المصريين القدامى ، حيث إنه ليبدو أساساً من أسس علاجهم ، إما للإفادة من خواصه الذاتية ، وإما لإذابة عقاقير أخرى . وهذا العلاج أوصى به أيضاً (أبقراط) وبعده (ديوسقوريدس) و (بلينوس) ، وفسر (أرسطو) فوائده التى تميزه عن غيره من الألبان فقال : إن

السيدة التى تحمل ذكراً أقوى بدون شك من تلك التى تحمل أنثى ، ولذا فلا بد من أن يكون لبنها أكثر فائدة ، وتلك الوصفة أصيلة فى مصر ، انفردت بها دون غيرها من شعوب الشرق ، إذ إن اللبن فى نظر الأشوريين والبابليين كان مادة ضارة .

ولنذكر وصفتين أخريين من تلك الوصفات الغريبة التى نقلها الإغريق عن المصريين :

أولاهما وصفة شوك القنفذ المحروق لعلاج الصرع ، التى نقلها (ديوسقوريدس) وثانيتهما استعمال البول فى مرهم لمنع رموش العين من النمو ، وفى شراب لعلاج البول الدموى والصرع ، وهاتان الوصفتان وردتا فى مؤلفات(ديوسقوريدس) و (بلينيوس) والأقباط .

ولكن أغرب تلك الوصفات جميعاً ، وصفة وردت فى قرطاسة سحرية أوصت بغلى فأر فى الزيت لتأكله الأم أو الطفل لشفاء سيل اللعاب واضطرابات نمو الأسنان عند الأطفال ، وقد أكد الكشف عن عظام فأر داخل جثة فى نجع الدير أن هذا العلاج العجيب كان يستعمل فعلاً ، ومن الغريب أن (ديوسقوريدس) ذكره ، وأن (دوسن) وجده مستعملاً إلى الآن فى الأوساط الشعبية فى عدة بلاد أوربية .

*** اسماء العقاقير المتشابه فى اللغتين :**

نجد هذا التسلسل نفسه فى أسماء بعض العقاقير :

| العقـــار | الاسم اللاتينى | الاســم الإغــريقى | الاســم المصــرى |
|---|---|---|---|
| الأنتموان | ستبيوم | ستيمى | مسدمت |
| الصمغ | جومى | كومى | قميت |
| النوشادر | أمونياك | أمونياكوس | (مشتق من اسم الإله آمون) |
| الحنتيت | أسافتيدا | ساجابنون (بتبادل أول حرفين) | جسفن (بتبادل أول حرفين) |
| النطرون | نتروم | نترون | نترى (أحد أوصاف هذه المادة) |

أما استعمال شوك القنفذ لإنماء الشعر ، وإعطاء الفئران ذوات الأسنان الطويلة لعلاج الأسنان ، وشرب البول للشفاء من البول الدموى ، فهو ينقلنا إلى عالم آخر هو عالم السحر التشبيهى .

### * أسماء الأعضاء :

وهذا التشابه نجد له نظيراً فى أسماء بعض الأعضاء والأمراض ، فقد سمى الإغريق حدأقة العين (كورى) أى الشابة ، وسماها المصريون (شابة العينين) وهذه التسمية لها نظير فى اللاتينية وهو(pupilla) أى البنت القاصر . والأسبانية وهو (nina de les ojos) (صبية العينين) كما أنه يشابه الاسم الذى أطلقه العرب على الحدقة وهو (إنسان العين) . أى أن الاستعارة المصرية نقلها الإغريق ثم اللاتين والعرب والأسبان فى لغتهم . ولن نترك العينين دون أن نشير أيضاً إلى أن (الماء الأبيض) الذى سماه الغربيون بالكاتركتا (أى الشلال) سماه المصريون (صعود الماء)، والإغريق (أيبوخيسيس) انسكاب الماء، واللاتين (Cataracta) بالمعنى نفسه.

وإذا تأملنا فى المعدة والقلب وجدنا خلطاً لغوياً عجيباً بينهما فى أغلب اللغات . فقد أطلق المصريون على المعدة (رو ـ نيب) ومعناها فم القلب ، كما

نفعل اليوم فى لغتنا الدارجة ، وبالمثل فإن الإغريق سموها (ستوماخون) وهو لفظ مشتق من (ستوما) أى فم ، ونحن نطلق بالإنجليزية واللاتينية كلمة (Cardia) أى القلب على أعلى المعدة ، ونقول عمن يشعر بميل للتقيؤ (قلبه قايم عليه) .

وهناك لفظ آخر متشابه فى اللغتين . فإن النظرة الروحانية إلى المرض التى عمت بين بعض المصريين ، كانت تنسب المرض إلى أرواح شريرة على رأسها كبير سموه (النامى) ، وهذا هو الذى سماه الإغريق (diabolos) ، ومعناه كذلك (النامى) ، وقد اشتقت منها الإنجليزية (devil) ، والفرنسية (diable) والإيطالية (diavolo) .

## * العلاجات الجراحية :

ولكن التشابه لم يقف عند مجرد الاقتباس اللفظى ، ولنأخذ مثلا وسائل العلاج الجراحية . وردت فى «أبقراط» التحريكات التى يجب إجراؤها لرد خلع الفك : « يثبت المساعد رأس الجريح ، ويمسك الفك الأسفل من الداخل والخارج بالقرب من الذقن بالأصابع . ثم ينقل فجأة .. إلخ » وهى ترجمة لفظية لما ورد فى قرطاسة «إدوين سميث» ، وقد رسمت فى مؤلف للطبيب القبرصى (أبولونيوس) عن طرق «أبقراط» العلاجية .

## * كسر الترقوة :

بردية «إدوين سميث » : الحالة ٣٥ : «إذا تفحصت رجلاً مصاباً بكسر فى الترقوة ، ووجدت بها قصرا ، فقل : هذا مرض سأعالجه ، وألقه على ظهره ، ثم ضع بين اللوحين وسادة حتى يبتعد جزءا ترقوته ويرجع الكسر إلى موضعه»

«أبقراط» : كتاب المفاصل : « ولكن هناك طريقة وهى كما يلى : إن كان القصر قد انتقل فى اتجاه المحور الأمامى والخلفى ، ألق المريض على ظهره ،

وضع بين اللوحين شيئاً مرتفعاً حتى يخفض الصدر من الجانبين بالقدر الممكن» .

**ولنتدرج الآن إلى : وسائل التكهن فى الحمل والولادة :**

تحوى قراطيس «برلين ، وكارلزبرج ، وإبرس ، وكاهون» مجموعات من الاختبارات التى كان الغرض منها التكهن بنوع الطفل قبل ولادته ، والتمييز بين السيدات الخصيبات وبين غيرهن . وتلك الطرائق متشابهة إلى حد بعيد ، يدعونا هذا إلى التساؤل : هل هى مأخوذة من أصل واحد عتيق ؟

قد يكون هذا الأصل الموسوعة التى تحدث عنها (كليمان الإسكندرى) والتى قال عنها : إنها كانت تحفظ منذ عهد سحيق بالمعابد المصرية ، وإن الجزء الخامس منها موضوعه أمراض النساء ، والسادس موضوعه الرمد ، ومن الحجج التى دفعت (إفرسن) إلى اعتناق الرأى بأن قرطاسة (كارلزبرج) من تلك الموسوعة ، أن واجهتها مخصصة لأمراض النساء كالجزء الخامس وظهرها للرمد كالجزء السادس .

**ولتلك الاختبارات أنواع ثلاثة :**

**أما النوع الأول** فإنه منبى على تأثير بول الحامل على نمو القمح أو الشعير ، حسب نوع الطفل الذى تحمله ، وهذا النوع من الاختبارات وجده «إبل» مذكوراً فى كتابات (قسطنطين الإفريقى) ، الذى نقل مؤلفات كثيرة مدعياً وضعها ، وقد كان «إبرز» استنتج من هذا أن بعض الأصول المصرية كان فى متناول (قسطنطين) فى ترجمة قبطية أو عربية . إلا أن «إفرسن» كشف فى مؤلف لطبيب من فلورنسا وهو «بتروس بايروس» عن الوصفات نفسها التى نقلها عن بعض الأصول البيزنطية ، ومن الأصول البيزنطية التى ذكرت النص ذاته (الكودكس بولينى ليبسينسيس) المماثل لمؤلف (Peri efporiston) المنسوب إلى «جالينوس» ، ومنها أيضاً بعض التراجم المتأخرة «لسورانس» التى دست

فيـهـا ، حسب رأى «إفرسن» ، تلك الطريقة وتلك الملابسات ـ أى وجود النصوص ذاتها فى كتابات بيزنطية توحى بأن بعض الوصفات المصرية وصلت عن طريق الإغريق إلى (سالرنو) حيث كان (قسطنطين) ، ومنها إلى أوربا .

وأما **النوع الثانى** من الاختبارات ، فإنه يبدو مبنياً على فكرة معقولة ، وهى أن هناك اتصالاً بين المهبل وبين التجويف البطنى عند السيدات الخصيبات ، وأن هذه الطريق مسدودة عند السيدات العقيمات . ذلك أن الوصفة ٢٨ من قرطاسة (كاهون) ، ووصفة من الجزء الثالث من كتاب (السيدات العُقّم لأبقراط) توصيان بوضع بصلة طوال الليل داخل المهبل . فإن فاحت رائحة البصل من الفم فى اليوم التالى استدل على أن السيدة سوف تحمل . وكذلك أوصت الوصفة ١٩٥ من قرطاسة «برلين» وأخرى من قرطاسة «كارلزبرج» بالتبخير تحت السيدة المطلوب اختبارها ، فإن تجشأت (تكرعت) فإن الحمل ممكن . ومثل تلك التجربة بالتبخير وردت فى (فصول أبقراط) ، وإن اختلفت العوارض التشخيصية ، وهى ظهور رائحة المادة المبخرة فى الفم مثلما تظهر فى وصفة البصلة .

وقد ذكر أيضاً هذا الاختبار عن طريق الفم فى قرطاسة «برلين» رقم ١٩٣ حيث جاء أن السيدة إذا تقيأت بعد أكل بطيخ ممزوج بلبن امرأة أنجبت طفلاً ذكراً ، فإنها سوف تحمل، أما إذا أخرجت ريحاً فإنها لن تحمل .

وفى (كتاب السيدات العقيمات لأبقراط) أوصى بإعطاء (بوتيرون) مع لبن من النوع نفسه فإذا تجشأت السيدة استدل على أنها ستلد وإلا فإنها لن تحمل ، وقد أكد (دوسن) بعد دراسة لغوية مستفيضة أن (البوتيرون) هو نوع من القرع يشابه البطيخ ، بل ربما كان هو البطيخ ، الذى أسماه المصريون (بددوكا) ، وهذا هو لفظ يشابه تسميتنا العربية الحالية (بطيخ) لهذا النبات .

ولم يكتف «أبقراط» بهذا ، بل أكد أن هناك مواد أخرى تسبب الانفعالات نفسها ، كشراب العسل المخمر ، ولكن فكرة الاختبار فى كل الحالات متشابهة تشابهاً يكاد يكون تاماً .

**والمجموعة الثالثة** من تلك الاختبارات ، وردت فى قرطاسة «كارلزبرج» وهى مبنية على لون العينين ، وتلك طريقة استعملها «أبقراط» كذلك لتشخيص الحمل أو التكهن به .

لهذا يصح لنا أن نرجح أن بعض أجزاء موسوعة مصرية فى أمراض النساء وصلت إلى «أبقراط» مجزأة فنقلها ، ثم نقلها منه أطباء بيزنطيون ، وبعدهم أطباء سالرنو ، ومن ثم علماء أوربا ، كما أن هذا يوضح السبيل الذى قد تكون طرقته بواقى الطب الفرعونى الواضحة فى الطب الشعبى الأوربى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وإذا تناولنا الدورة الدموية فإن معلومات المصريين تبدو أصح من آراء «أبقراط» فيها . فقد ورد فى قرطاسة «إبرس» ـ قبل (هارفى) بأربعين قرناً ـ أن القلب يستقبل الدم والهواء والسوائل ويوزعها ، وأن النبض الذى يستحس فى مختلف أجزاء الجسم إن هو إلا كلام القلب فيها . وهذا ما جهله الإغريق .

ولكن هل عد المصريون ضربات القلب ؟ إن هذا العد ذكره لأول مرة فى التاريخ (هيروفلوس السكندرى) الذى استعمل لهذا الغرض ساعة مائية . وتلك الآلات التى لا غنى عنها للعد عرفها المصريون منذ عهد تحتمس الثالث ـ إن لم يكن قبله ـ وهناك عبارة فى بردية «إدوين سميث» ترجمتها (عد النبض أو وزنه) وترجمها «جرابو» (قياس القلب) ، ورجح «بريستد» أن المقصود هو عد النبض ، ومن عجيب المصادفات حقاً أن يكون أول من ذكر عد النبض عالم إسكندرى ، إذ إن أطباء تلك المدينة عندما بدأ البطالمة يدرون علهيم المساعدات وألوان التشجيع وكانوا ورثوا مدارس ومكتبات الدلتا التى كان عاهل الفرس

(دارا) قد أعاد بناءها وتزويدها بالمؤلفات قبل هذا بعدة قرون ، وكانت ما تزال تزخر بالمؤلفات فى القرن الثانى ، فقد قال «ديودور الصقلى» : إن أطباء الإغريق كانوا يؤمون مكتبة منف للاطلاع على ما فيها من الكتب ذوات القيمة .

ثم إن كتاب القلب فى قرطاسة «إدوين سميث» يبدأ بالعنوان الآتى : « هذا بدء كتاب الطبيب السرى » هل كان إذن قياس سرعة القلب أحد تلك الأسرار التى ــ حسبما روى «سترابو» ــ لم يفشها كهنة مصر لزوارهم ؟

وهناك مشاهدة أخرى تبدو كأنها وثبت من القراطيس إلى كتابات «أبقراط» وهى معرفة الشلل الذى يحدث من جرح فى المخ أو النخاع الشوكى . فلقد وصف «أبقراط» فى كتابه عن جروح الرأس والتقلصات التى تنتاب جزء الجسم المناقض لجهة الرأس (وهو فى هذا أصوب من المصريين) ، ولكنه ربطها لا بالجرح ذاته ، وإنما بالالتهاب الذى يضاعفه ، وعلى كل حال فإنه لم يذكر شأن المخ فى ذلك معتقداً أنه غدة ، وذلك نظراً إلى طبيعته الإسفنجية . وإليك النص :

« وإذا أهمل الطبيب فى البحث عن كسر أو شرخ أو كدم ، فلم يكحت العظمة ولم يتربنها ، فإن الحمى تصيب المريض ، ويتغير لون الجرح ويصبح لزجاً أشبه باللحم المملح ، ويبدأ عندئذ يغرغر ويموت المريض فى حالة هذيان» .

وهناك مرض آخر ينسب أول وصف له إلى «أبقراط» وهو (التيتانوس) وقد يكون سبقه إليه مؤلف قرطاسة «إدوين سميث» فى وصف الحالة السابعة ، وهى حالة كسر جمجمة تبعه تقلص فى الرقبة وتعوج فى الفم ، ولو أن الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين اعترض على هذا التشخيص وعده حالة التهاب سحائى ، وقد قالت القرطاسة إن المرض قاتل «ما لم تظهر علامات تراخ» لدى الفحص الثالث .

ويمكن مقارنة هذا القول بما ورد في «أبقراط» . فقد قال: «إن المريض (بالتيتانوس) يبرأ إذا انقضى أربعة عشر يوماً بعد بدء المرض» وهذه الفكرة هي فكرة «الأيام البحرانية» التي هي من صميم أفكار «أبقراط» والتي تنم على اهتمامه بمعرفة مآل المرض الذي أفرد له مؤلفا كاملاً أسماه العرب (تقدمة المعرفة) ، ولكن المصريين أبدوا الاهتمام نفسه ، فقد ذيلوا كل مشاهدة من مشاهداتهم السريرية بعبارة تدل على رأيهم في نهاية الحالة واحتمال شفائها .

ولننظر الآن إلى أمراض النساء : فقد وصفت قرطاسة «كاهون» وغيرها اضطرابات وآلاماً في العينين والأعضاء ومختلف أجزاء الجسم ، عزتها إلى حالات مرضية في الرحم أو إلى انتقال هذا العضو من محله الطبيعي ، وجاء الوصف ذاته في الكتاب الثاني من مؤلف «أبقراط» عن أمراض النساء . ومن تلك الاضطرابات مرض عصبي . وقد يكون من المناسب أن نذكر في هذا الصدد أن لفظ (هستريا) مشتق من (هستر) وهو الرحم في لغة الإغريق .

أما علاج تلك الأمراض فقد ورد في قرطاسة «إبرس» علاج لانبساط عنق الرحم ، وهو مرض وصفه أيضاً «أبقراط» ويذكرنا هذا بمرض آخر غريب اشترك الشعبان في وصفه ، وهو اتساع حدقة العين التي سبق أن ذكرنا تشابه اسمها المصري واسمها الإغريقي . فقد عنيت قرطاسة «إبرس» بوصف علاج له . ويبدو لنا وصف علاج لمثل تلك الحالة عجيباً ، ولكن اليونان اعتبروا هذا الاتساع مرضاً ، والأرجح أنهم لاحظوا اتساع الحدقة عند فقدان البصر ، فظنوه سبب تلك العاهة.

وبعد هذه الجولة في الأمراض وأسمائها والعقاقير ووصفها ، يجدر بنا أن نقارن بين المنهج اللغوي الذي نهجوه في الكتابات الطبية . ونستنتج أولاً أن التبادل كان مطرداً نشيطاً بين المنهج اللغوي الذي نهجوه إذ إن تعريمة من قرطاسة «لندن» كان يشترط فيها أن تتلى بلغة كريت ، وقد أظهر «دوماس» أن

تعبيرات وأساليب لغوية تكررت فى الكتابات المصرية تلازم العودة فى الكتابات الأبقراطية ، فإن عبارات مثل «دواء آخر» و «ألوفار ماكون» بالمعنى ذاته ، والعبارة التى كثيراً ما تتكرر فى الهوامش (دواء ناجع) ، والتوصية بترك الدواء معرضاً لندى الليل ، كلها مشتركة بين الطبين .

*** الآراء الطبية :**

وهناك سؤال يتبادر إلى الذهن ، لقد قُورن طب المصريين بطب الإغريق ، ومُيز الثانى على الأول ، إذ نعت الأول بالشعوذة والروحانية ، ووصف الثانى بالمنطقية والتعقل والاعتماد على الاختبار ، ولكن الاعتبارات السالفة تدفعنا إلى التساؤل : ألم توجد بينهما بالإضافة إلى مجرد الاقتباسات العملية مشاركة فى التفكير الطبى ؟

علينا أول الأمر أن نسلم بافتقارنا إلى مصادر كافية ، وإلى أصول تسمح لنا بمعرفة نظر علماء المصريين القدامى إلى الصحة والمرض معرفة كاملة ، فإن كل ما نملكه ثمانية قراطيس طبية ، إحداها طبى بالمعنى الصحيح ، ولا تزيد الأخرى على كونها خليطاً غير متجانس من المشاهدات الطبية ، وأصرخ أنواع الشعوذة ، هذا فى حين أن عدد المؤلفات الإغريقية الأصيلة تحصى بالمئات . ولذا وجب علينا أن نتريث قبل الحكم ، فهناك احتمال الكشف عن برديات جديدة تلقى ضوءاً أنصع على أساليب تفكير أجدادنا . فتقلب نظرتنا إلى طبهم كما فعلت بردية «إدوين سميث» من قبل .

ومع ذلك ، ومع قلة ما ورد فى النصوص عن أسباب الأمراض وكيفية حدوثها ، فإنه يبدو لنا أن كتاب «القلب والأوعية» وبعض النصوص المبعثرة فى البرديات المختلفة تحوى نشأة نظرية الأخلاط الإغريقية ونظرية النفث (pneuma) التى سادت جزءاً من الفكر الطبى فى الإسكندرية ، وربما تكون قد أسست على تأملات الأطباء المصريين ، ولكنها لم تصل إلى شكلها النهائى إلا بعد

تطور طويل على ضوء آراء (أنباد قليس ، وفيثاغورس ، وألقمايون ، وأبقراط) الفلسفية والرياضية .

ولقد أراد البعض إدخال الشك فى قيمة الطب المصرى ، وفى الفائدة التى جناها منه أمثال «أبقراط» ، فبدءوا بالقول بأن «أبقراط» لم يحضر إلى مصر أبداً، وأن الروايات عن زيارته مشكوك فى صحتها ، لأنها روايات متأخرة قروناً عديدة بعد وفاته ، ثم أضافوا أنه لم يكن على علم باللغة المصرية القديمة ولا بالهيروغليفية ، فكيف تأتى له أن يتصل بالكهنة ويتعرف على أسرارهم . وانتهوا إلى القول بأن علوم المصريين كانت مزيجا من الشعوذة والسحر والطب البدائى، ولم يكن به غناء لأبقراط وأمثاله .

وقد عنى عالم فرنسى الأستاذ «فرانسوا دوما» بالإجابة على كل هذا ، فأظهر أولاً أن أول كاتب تحدث عن زيارة «أبقراط» لمصر كان معاصراً له ، ثم إن علوم المصريين لم تكن على ما وصفها هؤلاء ، فإنها كانت متقدمة جداً ، وإن كنا نجهل الكثير منها لقلة المستندات التى وصلتنا عنها . ثم أتى بالبرهان على وجود تبادل لغوى نشيط بين الجالية الإغريقية وبين المصريين ، ظهر فى استعمال الاثنين أساليب متبادلة وكلمات مشتركة ، وذكر لتدعيم هذا وجود مترجمين (تراجمة) فى المعابد والعواصم من الإغريق والمصريين يلمون كل الإلمام باللغتين ، ليساعدوا التجار والمسافرين والزوار والسياح فى معاملاتهم مع المصريين .

إننا بهذا العرض السريع لا ننقص بتاتاً من قيمة طب الإغريق بالبحث عن أصول له ، ولكن كل نهر له منابع ، وأكبر الأنهار وأجملها أكثرها روافد وأصولاً .

ولذا فإن الهدف من تلك المقارنات إنما هو تأكيد وحدة الحضارة التي ازدانت بها شواطئ البحر الأبيض المتوسط فى فجر التاريخ ، والتى نشأت في مصر ثم تناولها الإغريق فوصلت إلى قمتها عندما اجتمع المنطق الإغريقي والواقعية المصرية ، فظهرت معجزة الإسكندرية التى كانت منهلاً لعلوم العصور العتيقة ، حتى أصبحت منبعاً لحضارتنا الحالية ، التى ارتوى منها العرب وأثمروا أجمل ثمار العلوم والمعارف .

* * * * * *

## أهم المراجع العربية


١ـ قطوف من تاريخ الطب — **د/ بول غليونجى**

٢ـ الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة

**د/ يوليوس جيار د/ لويس ريتر**

٣ـ الحضارة الطبية فى مصر القديمة تأليف :

**بول غليونجى ، وزينب الدواخلى** ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥م

٤ـ الطب المصرى القديم — **د/ حسن كمال**

٥ـ دليل المتحف المصرى تأليف وتعريب صاحب السعادة **أحمد باشا كمال**

٦ـ «طب وسحر» الإدارة العامة للثقافة ، وزارة الإرشاد القومى ، القاهرة ـ الكتاب الخامس — **د/ بول غليونجى**

## أهــم المراجــع الأجنبيــة


1- Ruffer : Histological studies on Egyptian Mummies, Cairo, 1910 .

2- British Med . Journal . London 1908, 1, 732 - 737 .

3- Dr. Wood Jones in the Archeological Survey of Nubia Report 1907 - 1908, Vol (1 1 .1910 .

4- Journal of Anatomy and physiology,. New Series, No. Xv111, 1902 p 376 Ell. Smith .

5- Dr . Wallis Budge in the Dwellers of the Nile p 160 .

6- Preservatise Materials used by the Ancient Egyptians in Enbalning Survery Department .

7- Netolitzki, F., in : The Anciet Egyptians and their infleunce upon the civilization of Europe, by G. Elliot Sm th, 1911, New York . Harper .

## فهرس كتاب الطب عند الفراعنة